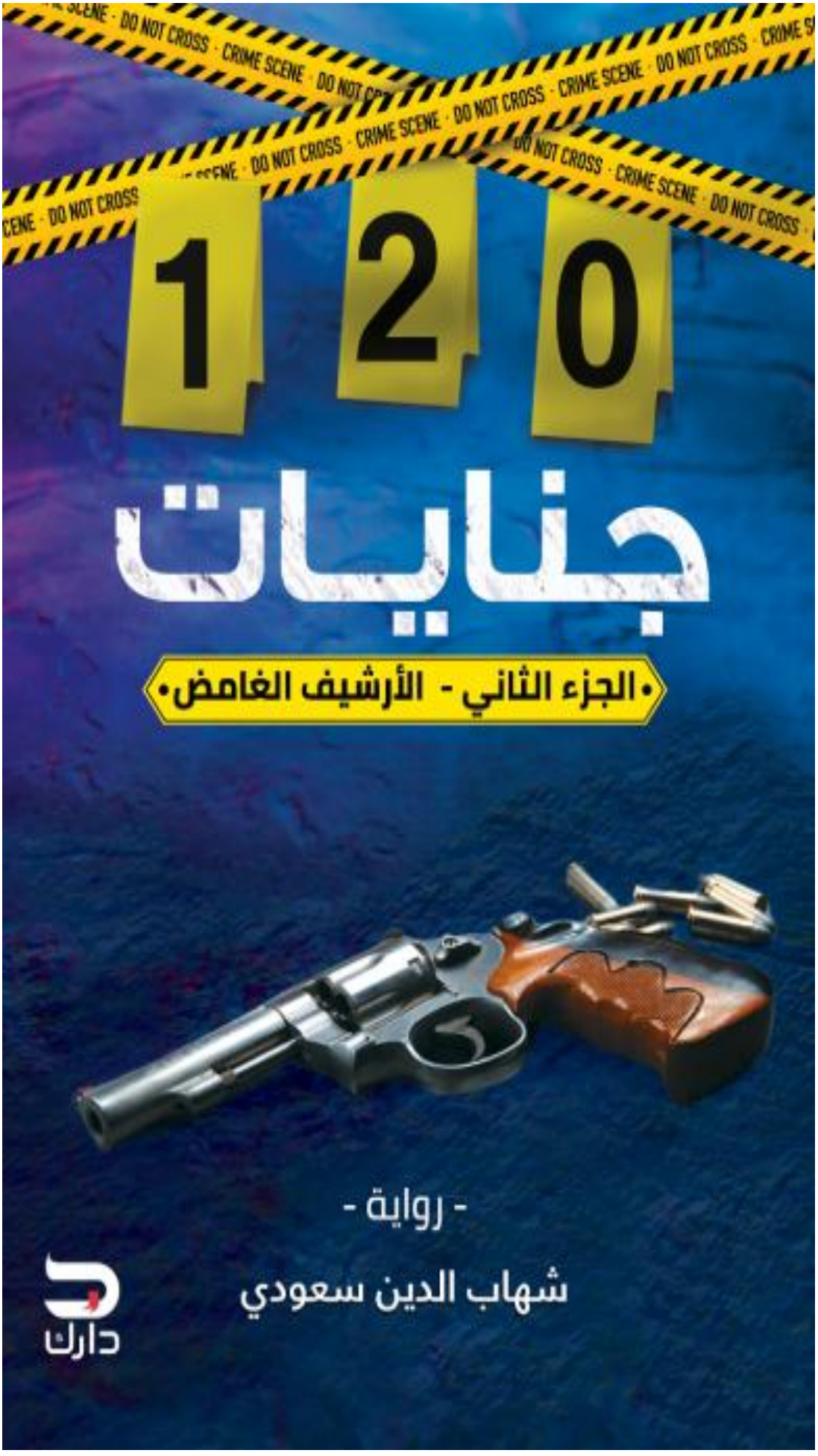
DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS
120
جنايات
•الجزء الثاني - الأرشيف الغامض•
- رواية -
شهاب الدين سعودي
دارك

رواية جنايات 120 الجزء الثاني – الأرشيف الغامض

شهاب الدين سعودي

قبل البداية

بعد صدور الأحكام في قضية ١٢٠ جنايات، أُغلق الملف داخل المحكمة، ولكنه لا زال مفتوحًا في ذهن البعض، لعلَّ الشمندري نفذ خطته بنجاح واستطاع أن ينجو هو وابناه الاثنان (آدم ويعقوب)، وفي الوقت ذاته لم ينجووا من بطش (نبيل) الذي لحق بهم إلى لبنان، ولو استطاع أحد منهم الفرارَ أمنُه لن يتركه (ياسر عز الدين) الضابط الذي ينتظر أفراد تلك العائلة لينال منهم ويسترد حقه أولًا، ثم القطع الأثرية الثلاثة مهما كلفه الأمر ثلاث سنوات مضوا والحقيقة لا زالت مدفونة والرؤية معتمة أمام أعين الجميع.

هذا الكتاب عنوانه (الأرشيف الغامض) لأنه يحتوي على عدة جرائم غامضة ومقيدة ضد مجهول حتى الآن، قضية واحدة هنا كنت أعلم مَن هو الجاني، ولكني لم أستطع الوصول إليه ليتم محاكمته، يمكنك أنت أن تفعل ذلك، ولكن قبل أن تعرفه يجب أن تعرف من أنت أولا وهذا اعترافي الأخير لك.

- إدريس الحديدي

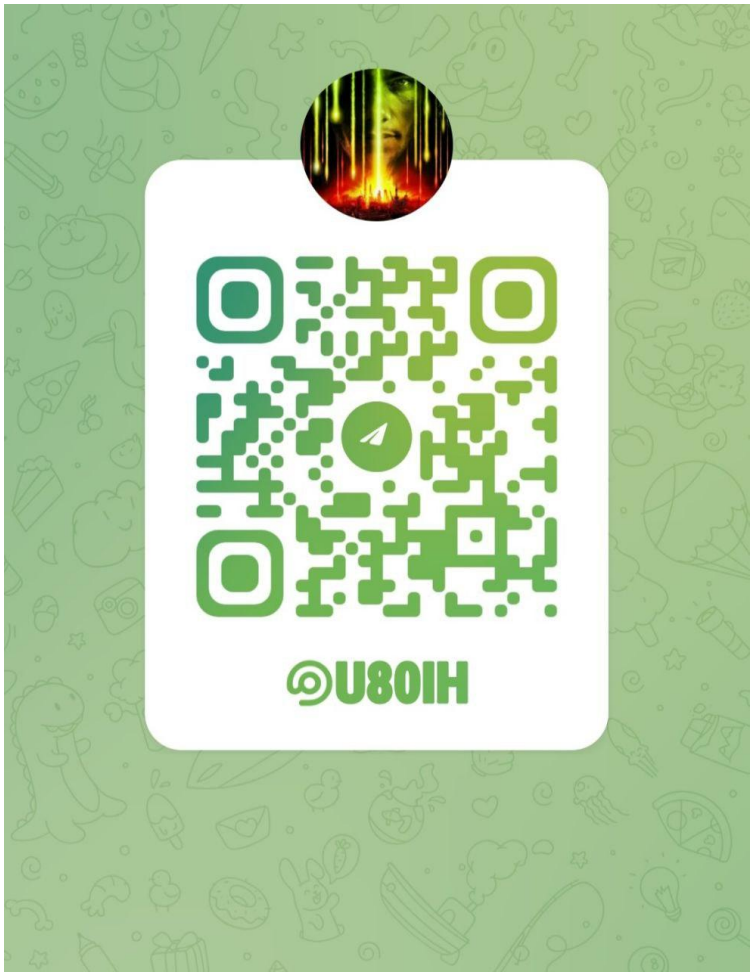

الفصل الأول

ماذا لو اختارك مسرح الجريمة ليريك ما حدث بكل وضوح؟ اختارك أنت وحدك دون عن جميع البشر!.

**

<u>الإسكندرية الرابعة فجرًا</u>

كان الفراش مرقع بالدماء وجثة الفتاة على الأرض، وجسدها في حالة تجمد إثر توقُّف وظائفه بعد أن فقد مخزونه من الدماء، لقد تحول وجهها الجميل إلى وجه مخيف الفم مفتوح لآخره وعيناها تحدقان برعبٍ شديد أما بشرتها تحوَّلت إلى اللون الأزرق مصحوبة بكدمات شديدة السواد.

كان فريق البحث الجنائي يمارس عمله كرفع البصمات، وتحديد موقع الجثمان وحفظ كل المتعلقات المحيطة داخل أكياس بلاستيكية، أما الضابط ينفث دخان سيجارته وهو يتأمل الفتاة دون أن يتحدث مع أحد، وبجانبه المفتش الجنائي الذي يعاين أركان الغرفة بدقة شديدة وخصوصًا النافذة التي تحطم زجاجها، قاطع تفكيره صوت الضابط الذي وجَّه حديثه إليه قائلًا:

- دخل من النافذة صحيح؟

نفى المفتش حديث الضابط وهو يهز رأسه يمينًا ويسارًا بهدوء، ثم بدأ يتحرك نحو زجاج النافذة المبعثر على الأرض وقبل أن يلتقطه أحد من فريق البحث الجنائي طلب منه أن يتوقف عن

العمل في تلك المنطقة، ثم تابع حديثه للضابط معلقًا وهو يشير إلى الجثة:

- القاتل يريد أن يوهمنا بذلك.

عقد الضابط حاجبيه حتى أردف الآخر:

- لم يدخل القاتل من النافذة، انظر إلى يد الفتاة اليمنى.

التفت الضابط وهو ينظر حيث أشار الرجل، ولكنه لم يلاحظ شيئًا، عندها تبسم وكيل النيابة وجثا على ركبتيه موليًّا نظره إلى يد الفتاة وقال:

- قطعة الزجاج الصغيرة التي سقطت على يدها تدل على أن زجاج النافذة تحطم بعد قتلها، أي إن القاتل قام بكسره بعد خروجه وليس عند دخوله.

***

(عمر عابدين) شاب في الثلاثين في عمره، ولكنه أخذ حظه كله في الدنيا ولد ليجد نفسه من عائلة كبيرة وأبوه يفعل له ما يشاء لأنه ابنه الوحيد، وبينما هو جالس في منزله يتعاطى جرعة المخدر المعتادة استمع إلى عربات الشرطة تتوقف بالخارج فانتفض من مكانه لكي يهرب، ولكنه أدرك أن الوقت قد انتهى بمجرد ما وجد الضابط أمامه موجها سلاحه في وجه قائلًا:

- لا داعي لفعل أي شيء، اجلس أرضًا.

رفع (عمر) يديه إلى أعلى وجسده ينتفض فهو لم يكن يعلم بأن الشرطة سوف تتمكن من معرفة تحديد مكانه بتلك السرعة حتى وجد رجال الشرطة تقتحم الغرفة، وتقيد يديه بعنف ثم بدأوا بدفعه إلى

الخارج.

لقد استطاع المفتش تحليل ما حدث بسهولة بعد أن أدلى حارس العقار بأقواله، وأن الوحيد الذي تردد على المنزل في هذا اليوم هو (عمر عابدين) وأنه متزوج أيضًا من هذه الفتاة سرًا، صحيح أنه حاول أن يضلل الشرطة بكسره للنافذة، ولكن قطعة الزجاج أوشت عليه كل بساطة كما، وأنه غير محترف ليمحو الأدلة من خلفه، جلس في نظره السيارة الشرطة وهو ينظر حوله بيأس يفكر كيف سيراً نفسه من تلك الجريمة فسلاحه الخاص ملطخ بدماء الفتاة صحيح أنه لا زال في مكان لا يعلم به أحد غيره، ولكن ماذا لو عثرت الشرطة عليه خان مرت عدة دقائق حتى توقفت به السيارة أمام القسم وبدأوا بسحبه إلى الداخل حتى ألقوا به داخل الحجز المؤقت بعد أن تحفظوا على هواتفه المحمولة وأوراقه الشخصية، كان الضابط يعلم جيدًا بأن تلك القضية لن تمر مرور الكرام، وأن والد المتهم سوف يفعل أي شيء مقابل حصول ابنه على حريته؛ لذلك لم يشعر بالسعادة بقدر القلق والحيرة فيما سيحدث، جلس على كرسيه داخل مكتبه، وأمسك هاتفه ليطلب العميد (ياسر عز الدين) فهو أستاذه، وربما سيحلل له بعض الأمور التي أصابته بالحيرة، وضع الهاتف على أذنه متحدثًا:

- مرحبًا سيدي كيف حالك؟

- أنا بخير يا شريف.

- كنت أهاتفك من أجل جريمة قتل حدثت اليوم، وأحتاج إلى مشورتك.

- تحدث أنا أسمعك.

- القاتل هذه المرة رجل الأعمال صلاح عابدين هل تعرفه؟

صمت (ياسر) للحظات ثم أجابه:

- أعتقد ذلك، ولكن ماذا تقصد هل هو فوق القانون أو ترى أننا نهابه؟

تنحنح (شريف)، ثم أجابه سريعًا:

- لا أقصد ذلك بالطبع، ولكني أخشى رد فعله خصوصًا أنه لن يترك ابنه الوحيد لحبل المشنقة.

انفعل (ياسر) متحدثًا:

- لا يستطيع فعل أي شيء طالما ثبت التهمة، أخبرني هل اعترف ابنه؟

ردَّ الضابط بصوت منخفض:

- لا لم يفعل بعد.

- هل وجدت السلاح المستخدم في الجريمة؟

صمت الضابط قليلًا، ثم أجابه بيأس:

- ليس بعد.

زفر (ياسر) غاضبًا وهو يقول:

- إذًا عليك أن تنهي ذلك خلال الأربعة أيام الأولى، ولا تنسَ أن الرجل لديه محامٍ يدعى (سراج) وهو ليس بسهل، سوف أكون معك خطوة بخطوة في الأيام المقبلة، وأبلغني بكل جديد.

انتهى (ياسر) وهو يترك هاتفه أمامه مرددًا:

- ربما تلك القضية تكون نهاية عائلة عابدين الصغيرة.

***

هذا المنزل لا يشبه غيره فهو لا يحتوي على غرف نوم وطهي، وما شابه، ولكن كل غرفة به تخص عالم الجريمة فمثلًا الغرفة الأولى لها جدران مثقوبة إثر إطلاق النيران، وبها علامات كأنها بصمات لعدة أشخاص، أما أركانها تحتوي على أثاث منزلي محطم، عندما تدخل تلك الغرفة تشعر وكأنك في مسرح الجريمة نفسه بل عدة جرائم حدثت هنا، أما الغرفة الثانية تحتوي على جميع الأسلحة التي تنفذ بها جرائم القتل بداية من الأسلحة البيضاء حتى الأسلحة النارية الفتاكة، وغرفة أخرى تشبه المعامل الجنائية، إنه منزل (مالك الحديدي) الشاب الذي وهب حياته كلها لعالم الجريمة متأثرًا بأبيه الخبير الجنائي المعروف الذى توفى منذ سنوات، لم يترك له سوى هذا المنزل ومجلد ضخم تحت عنوان (الأرشيف الغامض) وهذا المجلد بالنسبة لـ (مالك) يعتبر كنزًا ثمينًا لأنه تعلم منه الكثير، تعلم أشياء لم يصدقها أحد حتى وصل به الحال إذا تواجد في مسرح الجريمة وتأمل ما بها يستطيع أن يرى ما حدث بالتفصيل في مخيلته، أنه لم يصل إلى ذلك بسهولة بل استغرق معه الأمر أكثر من خمسة عشر عامًا قضاها داخل المنزل حتى والده نفسه لم يستطع أن يصل إلى هذه القدرة رغم علمه الكبير.

نهض (مالك) وهو يضع الكتاب أمامه على المكتب، ثم توجَّه نحو المرآة وهو يضع يده على وجهه، لقد تغيَّر كثيرًا رغم أنه لم يبلغ الأربعين من عمره إلا أنه لاحظ التجاعيد تملأ وجهه القمحي، وازدادت ملامحه وقارًا، إنه لا ينتمي لهذا الجيل بلحيته السوداء الكثيفة وشعره الذي يغطي أذنيه وملابسه التي يختارها دائمًا سوداء اللون.

وعلى الرغم من النجاح المبهر الذي حققه، وهدفه الذي وصل إليه إلا أنه يفتقد الشعور الإنساني فوحدته جعلته كالحاسوب يعمل فقط ودون أن يكون له زوجة وأبناء أو حتى أصدقاء خارج العمل صحيح أنه لم يبال لوحدته يومًا، ولكنه يعلم جيدًا أنه سيأتي يومًا ولم يجد التي تقدم له الدواء، هذا ما أخبره به والده قبل وفاته، لأن العمل في هذا المجال قاتل نفسي محترف ولا يستطيع أحد أن يقتبس بعض الراحة النفسية لعقله بالتحديد كعادته لم يترك تلك الأفكار تتمكن منه كثيرًا فابتعد عن المرآة متوجهًا إلى جهازه الصغير الذي يعد أسرع ماكينة عمل قهوة وبضغطة واحدة وفي أقل من دقيقة وجد الفنجان ممتلئًا فالتقطه عائدًا إلى مكتبه، وجلس ليقرأ في مجلد أبيه، كان يستعد جيدًا لقراءة تلك الجريمة والتي نوَّه والده قبل بدئها أنها ليست مثل ما سبق وما يلي، إنها أشرس جريمة قتل حدثت في تاريخه الجنائي وحتى وفاته لم يكن يصدق بأنها حدثت بالفعل حتى التقى بأحد أطرافها، لذلك كان ينوه بشدة أنها ممنوعة على أصحاب نوبات الاكتئاب والأشخاص الذين يعانون من الوحدة، أغمض (مالك) عينيه وهو يفكر قليلًا؛ فهو يعلم أن والده لا يتحدث بمثل هذه الطريقة إلا إذا كان الأمر يستدعي ذلك وهو يعلم أيضًا أن لا أحد كان سيحصل على هذا المجلد قبل ابنه ولكنه سرعان ما حدق في الصفحة التي وقعت عيناه عليها وبدأ يتمتم بكلماته الخاصة:

(جناة وضحايا وأدلة وشهود أنا مالك الحديدي لا تخذلوني)

كانت كلماته تلك لا يقرأها إلا في مسارح الجريمة ولكنها خرجت من فمه دون أن يشعر ثم بدأ بالقراءة.

***

النيابة العامة بمحافظة الإسكندرية

كان يجلس (عمر عابدين) أمام وكيل النيابة وهو يرتجف خوفًا ولم يتحدث بكلمة واحدة، يحاول أن يحافظ على ثباته الانفعالي حتى يأتي محاميه، ولكن التحقيق تم فتحه في الحال وتوجهت له الأسئلة

- س: اسمك وسنك ومحل إقامتك؟

نظر (عمر) إلى أمامه وهو يردُّ:

- اسمي عمر صلاح عابدين ثلاثة وثلاثون عامًا، وأقيم في منطقة رشدي.

- ج: ما علاقتك بالمجني عليها سارة السيد مكرم.

- كنت متزوجها سرًا.

- ج: ما رأيك في التهمة الموجهة إليك وهي قتل سارة السيد مكرم عمد مع سبق الإصرار.

- لم أقتلها.

نظر له وكيل النيابة بصخب ثم تحدَّث:

- حارس العقار أقر بأنك كنت الزائر الأخير، كما أننا وجدنا رسالة واردة على هاتفها المحمول منك.

تنهد المتهم، ثم أجاب:

- نعم قمت بزيارتها، ولكنني وجدتها مقتولة وهربت بعدها خوفًا من اتهامي بذلك.

أشار وكيل النيابة للموظف الذي يدوِّن التحقيق ليكتب ثم قال:

- وعند مواجهة المتهم أنكر جريمته، وأمرت النيابة بحبسه أربعة أيام على ذمة التحقيق لاستكمال التحقيقات.

انتهى وهو يعقد يديه أمامه ونظر للمتهم قائلًا:

- أتدري لماذا لم يحضر محاميك التحقيق؟

قبل أن يرد (عمر) تابع الآخر قائلًا:

- لأننا أمرنا بمنعه، ويمكنه المرافعة في قاعة المحكمة فقط، أنت سوف تضع في حبس انفرادي حتى نجد أداة الجريمة، فكِّر جيدًا فوالده لن ينفعك والقانون في مصر الآن أصبح حرًّا والشرطة أكثر قوة؛ لذلك لا تأمل في الخروج أبدًا.

رسم المتهم على شفتيه ابتسامة كاذبة، ثم ردَّ بصوت هادئ:

- أقسم لك بأنني سأخرج قريبًا جدًّا رغما عنك وعن أي شخص.

***

يجلس (ياسر عز الدين) في حديقة منزله في الوقت المفضل له وهو التاسعة صباحًا حيث أن الشمس تمد جسمه بالمنافع الكثيرة خصوصًا أنه أصبح كبيرًا في السن، وبينما هو يقرأ في أحد الكتب، وجد حفيده الذي يبلغ من العمر ثلاث سنوات يركض خلف كلبه الصغير بطريقة غريبة فترك الكتاب من يده واعتدل محدقًا إلى الطفل، لا ليست طريقة غريبة أنه يفعل مثل ما كان

يفعل أبوه، ظل (ياسر) ينظر إلى الطفل حتى كاد أن يصرخ فيه إلا أن أتت ابنته (نورين) من الخلف وهي تقبل رأسه قائلة:

- لقد كبر يحيى هكذا.

لم يلتفت لها والدها، وظل كما هو لتعقد حاجبيها متسائلة:

- أبي، لماذا تنظر هكذا؟

يجلس (ياسر عز الدين في حديقة منزله في الوقت المفضل له وهو التاسعة صباحًا حيث أن الشمس تمد جسمه بالمنافع الكثيرة خصوصا أنه أصبح كبيراً في السن، وبينما هو يقرأ في أحد الكتب، وجد حفيده الذي يبلغ من العمر ثلاث سنوات يركض خلف كلبه الصغير بطريقة غريبة فترك الكتاب من يده واعتدل محدقًا إلى الطفل، لا ليست طريقة غريبة أنه يفعل مثل ما كان يفعل أبوه، ظل (ياسر) ينظر إلى الطفل حتى كاد أن يصرخ فيه إلا أن أتت ابنته نورين) من الخلف وهي تقبل رأسه قائلة:

-لقد كبر يحيى هكذا.

لم يلتفت لها والدها، وظل كما هو لتعقد حاجبيها متسائلة:

-أبي، لماذا تنظر هكذا؟

انتهت وهي تجلس على الكرسي المقابل له حتى تحدَّث بهدوء:

- إنه يذكرني بأبيه يا نورين يشبهه تمامًا في الشكل والأفعال أيضًا.

نظرت ابنته إلى أسفل ثم ردت:

- أبي أرجوك لا تفكر هكذا، أنت وعدتني بأنك ستمحو تلك الفترة من ذاكرتك، وآدم أيضًا لم يعد له وجود من الأفضل

أن ندعو له بالرحمة فهو مهما فعل كان يومًا زوجي وأبًا لابني.

نظر لها والدها متبسمًا بحزن معلقًا:

- لقد ارتكبت خطأ كبيرًا، وخلفت وعدي، أعتذر منك يا ابنتي.

اقتربت منه (نورين) وهي تمسك يده بكلتا يديها ثم قالت:

- لا داعي للاعتذار، أنت أبي وشخصي المفضل، ولا أحب أن أراك تتذكر ما يحزنك.

أومأ أبوها لتنهض وهي تتابع:

- سوف أقوم بتحضير الفطور وفنجان القهوة الذي تحبه.

انتهت مغادرة وبمجرد ما تجاوزته ظلت الدموع تتساقط من عينيها وهي تتذكر يوم مقتل زوجها، تذكرت وهو يقف في الغرفة أمامها ينظر إلى طفله الرضيع الذي لم يتجاوز العام الواحد، وإلى السلاح الناري الذي كان في يده، لأول مرة كانت تشاهده في هذا الاختبار، صوت الرصاص حول المنزل يشبه المطر وهو بمفرده، كان لا يريد تبادل إطلاق النار حتى لا يصيب زوجته وابنه بأذى خصوصًا أنه كان يعلم جيدًا أن (نبيل) أرسل رجاله لقتله هو فقط فقرر أن يقترب منهما ويقبِّل رأس زوجته ثم التقط ابنه بين ذراعيه وهو يحتضنه بقوة ليعيده إلى أمه مرة أخرى ليأخذ قراره الأخير وهو أن يخرج إليهم رافعًا ذراعيه إلى أعلى كعلامة استسلام، ولكنهم لم يرحموه وأطلقوا عدة رصاصات في جسده ليسقط أرضًا غارقًا في دمائه ثم حملوا جثته داخل السيارة حتى يقدموها إلى من أرسلهم لقتله مقابل خمسمئة ألف دولار، كانت (نورين) تشاهد ما يحدث عبر

النافذة وهي تبكي محتضنة صغيرها حتى تأكدت بأنهم قد ذهبوا فهاتفت والدها تطلب منه المساعدة وعلى الفور تم التواصل مع السفارة اللبنانية وأحضروا له ابنته في نفس اليوم بعد إنهاء التحقيقات لم تكن تلك الفترة بهينة ولم تتجاوزها أبدًا حتى الآن وإن تظاهرت بعكس ذلك أمام أبيها خصوصًا أنه قص عليها كل ما حدث، والمكيدة التي دبرها (آدم) له حتى يهون عليها ويجعلها تعلم بأن زوجها لم يكن صالح أبدًا، ومع ذلك هي لم تستطع أن تراه شخصًا سيئًا أبدًا، ولم تتذكر له إلا المعاملة الحسنة التي وجدته منه في هذا العام الأخير تحديدًا.

***

توقفت سيارة سوداء فارهة أمام إحدى الشركات الكبرى بالإسكندرية وخلفها سيارة أخرى خاصة برجال الحراسة ليخرج منها رجلان ذوا جسد ضخم وملابس سوداء مخصصة لهما حتى يتبين للجميع بأنهما من الحراسات فتوجها ركضًا نحو السيارة وقام أحدهما بفتح الباب الخلفي ليخرج رجل خمسيني يبدو عليه الثراء الفاحش كان يرتدي قميصًا أبيض مرصعًا بالذهب وسروالًا أسود وحذاء أبيض لامعًا، رجل نحيف الجسد أصلع الرأس يضع وشمًا صغيرًا على رقبته من الجهة اليمني يرمز للهرم الأكبر، إنه (صلاح عابدين) رجل الأعمال الشهير وغير أنه اشتهر بإنتاج الأفلام السنيمائية، إلا أنه اشتهر أيضًا ببطشه وأسلوبه الحاد والمروع لدى الجميع، لا يمكن لأي شخص أن يتحدث معه دون أن يأخذ الإذن من الحارس الخاص به حتى مدير و شركاته في جميع المجالات أما شركة الإنتاج أو العقارات أو السياحة.

تقدم بخطوات يسبقها كبرياؤه داخل الشركة والحرس بجواره حتى دلف إلى المصعد وهو ينظر في ساعته إلى أن توقف به وترجل منه دالفًا إلى مكتبه العريق، هذه الغرفة تصلح لثلاث شقق ضخمة على الأقل، وربما هو لا يحتاج منها إلا الكرسي والمكتب الخشبي الموضوع أمامه جلس واضعًا قدمًا على الأخرى ثم نظر إلى حارثه قائلًا:

- اطلب لي سراج عبد الحي.

أمسك الحارس بحقيبته الصغيرة مخرجًا منها الهاتف، وطلب الرجل الذي قصده (صلاح) ثم قدَّم له الهاتف وهو منحنٍ برأسه ليلتقطه الرجل وهو يضعه على أذنه قائلًا بهدوء:

- أخبرني أيها المحامي ما الذي فعله ابني بالضبط؟
- ابنك قتل فتاة بعد أن تزوجها سرًّا بثلاثة أيام فقط.

أومأ (صلاح) ثم ردَّ:

- ابني لم يقتل أحدًا، اتفقنا؟

صمت المحامي قليلًا ثم تحدث بخوف:

- ولكن...

قاطعه الرجل بصوت عالٍ:

- لا أريد أن أسمع شيئًا آخر، ابني لم يقتل أحدًا، أمامك ثلاثة أيام إذا لم تأتِني به سوف أهدي أسرتك كفنًا يليق بك.

انتهى وهو يغلق المكالمة ليرمي بالهاتف أمامه، ثم نظر إلى حارسه الخاص متحدثًا بانفعال:

- أخبرني أنت أيضًا ماذا لو لم يفعل سراج شيئًا في تلك القضية.

نظر له الشاب ثم ردَّ بثقة:

نقتله سيدي.

تبدلت ملامح الرجل ليستنكر من رده حتى أردف الحارس:

- لا تقلق يا سيدي مهما حدث لن نترك عمر بك كثيرًا سوف نحرره إما بالقانون أو بالقوة.

أومأ (صلاح) وهو يشعل سيجاره ثم أشار له بالانصراف.

هذا الشاب الذي يقوم بحراسته اكتسب ثقة كبيرة لديه قبل أن يتعين في تلك الوظيفة، حيث أنه كان مجرد فرد أمن فقط داخل الشركة ومنذ عام تقريبًا تعرضت سيارة نقل الأموال لسطو مسلح أمام الشركة، ولكنه استطاع أن يلتقط سلاح كان بجوار سائق السيارة الذي قُتل وقام بإطلاق النار عليهم بطريقة بارعة حتى فروا هاربين في النهاية، منذ تلك اللحظة وصلاح عابدين لا يستطيع الاستغناء عنه وخصصه حارسًا شخصيًّا له ولعائلته وهو لم يخذله حتى الآن.

***

في مثل هذه القضايا كان على (سراج عبد الحي) كمحامٍ ماهر أن يخفي الدليل الوحيد الذي حصلت عليه رجال المباحث وهو أقوال حارس العقار، ولكنه لم يعلم بأن (ياسر عز الدين) يباشر تلك القضية، وكان من الصعب أن يتركه لهم حتى لا يقتلوه؛ فأمر رجاله بنقله هو وأسرته إلى محافظة أخرى حتى تنتهي التحقيقات، ويشهد في المحكمة بما حدث، ومن هنا أصبحت

القضية أكثر صعوبة لدى هذا المحامي العجوز الذي أرسل رجاله وعادوا إليها آسفين.

كان يجلس في مكتبه مرتديًا نظارته الطبية يقرأ المحضر بتمعن شديد حتى لفت انتباهه بأن الحرز لا زال مفقودًا إذًا يمكنه أن يستخدم تلك الثغرة في مرافعته بعد أن يثبت بالأوراق والشهود الزور أن المتهم لم يكن متواجدًا في الإسكندرية من الأساس في هذا اليوم فبدأ بمهاتفة رجاله حتى يحصلوا على تذاكر سفر بتاريخ قديم وحجز بأحد الفنادق بمرسى علم للمتهم، ليس هذا فقط بل سيجعل مدير الفندق وبعض النزلاء أن يشهدوا بأن (عمر عابدين) تشاجر مع بعض الشباب في تلك الليلة، وتم تغريمه بثلاثة وثلاثين ألف جنيه مقابل ما تم إتلافه؛ هكذا سوف تكون أدلته غالبة مقابل أقوال حارس العقار وستفاجئ الجميع في قاعة المحكمة، ولكن كل هذا في حالة إذا لم يعترف المتهم وإذا لم يحصلوا على السلاح المستخدم في جريمة القتل.

انتهى وهو يخلع نظارته قائلًا بداخله:

- أنت داهية يا سراج تستطيع أن تخرج قطعة اللحم من فم الأسد دون أن تجرح يديك.

الفصل الثاني

لا يمكن للصادق أن يغفر لشخص كذبه، وإنما الكاذبون هم من يغفرون لبعضهم.

**

إحدى جرائم الأرشيف الجنائي

هذه الجريمة كتبها والده وهو يحذر ابنه بعدم قراءتها في حال إن كان يعاني من الوحدة و (مالك) يرى بأنه ليس وحيدا تماما بل لديه جاره القعيد (عيسى) أو كما يطلق عليه عم عيسى الرجل المسن الذي اتخذت له ابنته تلك الشقة الصغيرة، ولم تسأل عنه ولو لمرة واحدة منذ عام كامل كما قص عليه حكايته، ومن حسن حظه أن لديه جارا مثل هذا الشاب؛ لأن (مالك) لم يغفل أبدًا عن مواعيد دوائه ولم ينس أيضًا أن يقدم له الوجبات بعد أن يقوم بعملها بيديه؛ لذلك قرر أن يقرأ هذه الجريمة في شقة العجوز بل وفي غرفته وسيشاركه فيها والرجل رحب كثيرًا بهذه الفكرة.

رجل يدعى (حماد) من مواليد مدينة الإسكندرية كان يعمل حارسًا لأحد العقارات التي يسكنها بعض الأثرياء الذين يملكون كل شيء في الحياة من وجهة نظره من أموال وأبناء ووقت كاف للسفر والتنزه كل ما كان يفقده الحارس كانوا هم يمتلكونه وهو لا يستطيع حتى أن يتزوج من بائعة المناديل التي تقف فى إشارة المرور سنوات عديدة نفسه في المرأة ناديًا حظه حتى امتلكه الشيطان، بل أصبح هو الشيطان نفسه وبدلا من أن يحاول أن يحقق شيئا مثل هؤلاء قرر أن يجعل استخدمه فى حياته

الخاصة لتبدل به الحال، ولكنه نصب لهم المصاب
الحياة التي يعيشونها كالجحيم، أعتقد بأنه كان يملك عقلا
داهية وام وخطط لهم ولا أحد كان يتخيل بأن الفاعل هو
حارس العقار الذي يرتدي عباءة متسخة ويتحدث بمنتهى
الانكسار أمام أصغرهم، لم يتخيل
أحد بأنه من ترصد لرجل وزوجته داخل شقتهم وقام
بحرقها ولم ينجو منها إلا رضيعهم الذى كان لم يبلغ من
العمر إلا أشهر معدودة، حتى أنا عندما زرت مسرح
الجريمة وأخذت أقوال الشهود كتبت أن تلك القضية
ليست بفعل فاعل وإنما هي نتيجة لتسرب الغاز ليلا، لم
يعرف أحد بأن (حماد) هو من قام برمي فتاة لم تبلغ من
العمر خما عشر عاما من أعلى العقار ولم يخطر في ذهني
وقتها بأنه الفاعل أيضا أنه كان يعلم بأن الفتاة تلعب كل
صباح في هذا المكان لأن والدها يملك الطابق الأخير،
ولذلك رميها من أعلى سيفسر بأنها سقطت من تلقاء
نفسها خصوصا أنه كان يدرس مسافات السقوط جيدا
وكأنه كان
يعمل في البحث الجنائي، إلى هنا يا ولدي ولم تنته قصة
(حماد)، ولكني علمت أيضًا أن امرأة تدعى (زهرة) هي من
ساعدته في نشب الحريق بالمنزل لأنها كانت على خلاف
دائم مع الضحايا، وهي من ضللتنا في التحقيقات، وأبعدت
التهمة عنه كل هذا علمت به عندما ترك البلد وسافر، لم
تنته القصة هنا، ولكني أردت فقط أن أعطيك نبذه عن
تلكه الجريمة التي انتهت بكارثة أكبر بكثير مما قرأت،
ولكن أكثر مطلبي لا تقرأها إذا كنت وحيدًا يجب أن تكون
في ذلك الوقت لك أسرة وحياة حتى لا تتأذى.

توقف (مالك) عن القراءة وهو يضم شفتيه مبديًا دهشته، ثم نظر إلى (عيسى) قائلًا:

- لا أعلم لماذا أبي يؤكد عليَّ بشدة، هل يعتقد بأنني سأقرأها وأنا صغير ويخشى عليَّ شيئًا.

سعل العجوز وهو يعتدل قليلًا حتى أراح ظهره على الفراش، ثم تبسَّم وهو يردّ بصوته المنخفض:

- يا بني، إن الآباء يخشون على أبنائهم من كل شيء، اسألني أنا.

نظرَ له (مالك) بعطف ثم سأله:

- أخبرني عن أبنائك، هل لديك غير الفتاة التي أتت بك إلى هنا.

صمت (عيسى) قليلًا ثم نظر إلى أسفل وهو يهز رأسه يمينًا ويسارًا مردّدًا:

- لا يا بني ليس لدي غيرها.

***

جلسة النطق بالأحكام

كان المتهم في القفص ينظر إلى محاميه برعب شديد ريثما ينتهي وكيل النيابة من مرافعته والتي كانت ضعيفة مقابل الأدلة التي تم إرفاقها في ملف القضية من قِبَل المحامي والشهود الحاضرين الذين جاءوا ليشهدوا زورًا، أما الشاهد الوحيد على المتهم وهو حارس العقار قرَّر من تلقاء نفسه أن ينفي ما قاله سابقًا دون أي تهديداتٍ، فقط رانه لا يرصد أن يدخل المحيط كفريسة ضعيفة لهؤلاء أو أمره أحد بذلك، بدأ المحامي بالدفاع قائلًا:

- سيدي القاضي حضرات المستشارين، لا داعي للشعارات والمرافعات التقليدية، فقط انظروا إلى ما بين يدي سيادتكم واسمعوا لهؤلاء الذين ليس لهم أي مصلحة في تبرئت المتهم وسوف يتضح لعدالتكم الموقرة كل شيء، إن موكلي ليس له أي علاقة بهذه الجريمة لا من قريب أو من بعيد، ولم يكن موجودًا في المحافظة بأكملها تلك الأيام.

صمت القاضي قليلًا، ثم تحدث بصوت منخفض قليلًا:

- الحُكم بعد المداولة.

ظلَّ المحامي ينظر إلى الحارس الشخصي لصلاح عابدين بفخر شديد؛ لأنه يعلم أن هذا الرجل أتى لقتله في حالة إدانة المتهم، عاد القاضي ومساعدوه إلى مقاعدهم ليتحدث المنادي بصوتٍ عالٍ قائلًا:

- محكمة.

ارتدى القاضي نظارته، وبدأ يقرأ من السجل الذي بين يديه قائلًا:

- بعد الاطلاع على مواد الاتهام وسماع شهادة الشهود حكمت المحكمة حضوريًّا على المتهم عمر صلاح عابدين بالبراءة وإخلاء سبيله من سرايا المحكمة بضمان محل إقامته إذا لم يكن مطلوبًا على ذمة قضايا أخرى رُفعت الجلسة.

لم يلتفت حينها أحد لـ (ياسر عز الدين) والذي تذكَّر قضية المتحف قديمًا وما حدث معه، إنه على يقين أن هذا المتهم هو القاتل، ولكنَّ محاميه فكَّر سريعًا ونفَّذَ خطته أنهم وجدوا مخرجًا سهلًا في ته القضية جعلهم

يتعاملون بمنتهى الثقة حتى والده لم يحضر الجلسة منعًا لأعين الصحافة والقيل وقال نهض وهو ينظر إلى المتهم بتوعد حتى اقترب منه قائلًا:

- مبارك لك البراءة، ولكن احفظ وجهي جيدًا.

انتهى وهو يغادر قاعة المحكمة حتى أمسك هاتفه وطلب رقمًا ما ثم وضع الهاتف على أذنه متحدثًا:

- من هنا تبدأ خطتنا لن نجعل أحدًا يستخدم نزاهة القانون لصالحه، لا تغفل أرجوك.

أنهى المكالمة ثم استقل سيارته وانطلق.

لقد تغيَّر هذا الرجل كثيرًا من الأزمات المتتالية التي تعرَّض لها بعد حادث المتحف الشهير، وأصبح يرى أن حكم المحكمة ليس النهاية بل هو بداية جديدة والحصول على أدلة لولا خروج المتهم لم استطاع أن يصل إليها، إنه الآن حقَّق غايته بعد أن خطط للإفراج أكثر من المحامي نفسه وهو مَن أمرَ الحارس أن يغيِّر أقواله، ولكنه لم يطلعه على خطته فقط أخبره بأنه سوف يعرِّض نفسه للأذى، وأن الشرطة لن تعاقبه في حالة إنكار ما تحدَّث به مسبقًا، إن هذا الشاب ليس حُرًّا من الآن مثلما يظن بل هو داخل المصيدة.

***

كان (عيسى) يجلس على فراشه متأملًا بعض الصور وعيناه يملأهما الحنين، ولكنه وضعهما سريعًا أسفل وسادته عندما أحس بخطوات (مالك) تقترب من غرفته ليأذن له بالدخول قبل أن يطرق الباب حتى وجده يدخل وفي يده طبقان من الطعام ليقدمهما للعجوز قائلًا:

- اليوم قررت عمل شرائح اللحم بصوص الرمان، سوف تحبها كثيرًا.

التقط (عيسى) الأطباق من يده بخجل شديد؛ إن هذا الشاب يفضل معه ما لم يفعله معه أقرب الأشخاص لديه، ظل ينظر إلى الطعام مبتسمًا ثم نظر إلى (مالك) وهو يقول:

- أشكرك يا بني على كل ما تفعله، ولكني أريد أن أسألك سؤالًا.

جلس الشاب على حافة الفراش وهو يومئ دون أن يتحدث فأردف الرجل:

- ما طبيعة عملك وأنا لا أراك في المنزل أغلب الوقت، وإذا لم تتهكم من فضولي أريد أن أضيف إلى أي جهة أنت تابع.

ضحك (مالك) ثم نهض موليًا ظهره إليه متحدثًا بجدية:

- أنا يا والدي أعمل مع أي شخص يريد الحصول على الحقيقة.

عقد (عيسى) حاجبيه ليتابع الشاب:

- أحيانًا تستعين بي الشرطة حتى أقدّم لهم أدلة لم يستطيعوا الوصول إليها، وأحيانًا أتطوع من تلقاء نفسي لمساندة المظلومين وأقدم للشرطة أدلة براءتهم، صحيح أن عملي متقطع، ومن الممكن أن أبقى في منزلي لشهور دون عمل، ولكن تلك الفترة أتنقل بين عدة محافظات، ووالدي ترك لي ما يكفيني فهو كان شرطيًّا ماهرًا، وتعلمت منه الكثير، ولكني لم أحصل على مؤهل يجعلني أعمل بشكل رسمي مع الشرطة.

اعتدل (عيسى) في مجلسه وهو يسأله بحماسة:

- احكِ لي عن أغرب جريمة كنت معاصرًا لها.

التفت (مالك) إليه، ثم أغمض عينيه قليلًا، وعاد ينظر أمامه وهو يرد:

- جريمة حدثت قديمًا وتشكيل عصابي خطير جدًّا يمتلك من الذكاء ما جعلني أصفق لهم.

- احكِ لي.

عاد (مالك) إلى مجلسه ثم تحدث قائلًا:

- رجل وأبناؤه استطاعوا الهرب من الشرطة بقِطع أثرية ثمينة ولم يستطع أحد أن يمسك بهم، الغريب في الأمر خططهم فقط فهم يدبرون كل شيء باحترافية شديدة خصوصًا والدهم كان يدعى (الشمندري).

- يبدو أنك أيضًا لم تستطع القبض عليهم.

قالها العجوز ساخرًا لينفي (مالك) برأسه ما قيل ثم أردف:

- لم أكن وقتها أعمل على تلك القضية؛ لأنها سنوات مرض والدي وتوفي بعدها كانوا قد هربوا جميعًا.

انتهى وهو يتنهد ثم تابع:

- لم يبقَ منهم شخص لأقوده إلى السجن.

- أين هم؟

- والدهم اختفى تمامًا بعد أن استطاع تقيد اسمه في دفتر الوفيات أعتقد بأنه مات بعد أن علم أن أبناءه قتلوا جميعًا.

- مَن قتلهم؟

- الصغير كان ضابطًا، وقتل بسبب افتراس كلب له أما الاثنان الآخران، قتلا بالخارج على يد عصابة إجرامية أخرى كتصفية حسابات.

هزَّ (عيسى) رأسه وهو يردِّد:

- هكذا هو المال الحرام يا ولدي لا يدع صاحبه بخير أبدًا.
- نعم، ولكن ما يحزنني بشدة تلك القطع الأثرية التي تقع الآن بين يدي (نبيل).
- مَن يكون نبيل؟

ضحك (مالك) ثم نهض وهو يردّ:

- الرجل الذي قتل أبناء الشمندري.

ضحك (عيسى) ثم تحدَّث بخجل:

- هل يمكنك أن تروي لي قصتهم.
- لا مانع سوف احكيها لك باختصار شديد كما أبلغني عنها والدي.

أومأ العجوز ليبدأ (مالك) حديثه قائلًا:

- اشتهرت تلك القضية بجريمة المتحف، وهذا كان المسمى الشعبي لها على مواقع التواصل الاجتماعي والمقاهي، وهكذا أما داخل المحكمة وبين أجهزة الشرطة تسمى قضية ١٢٠ جنايات، بدأت عندما كان (توفيق) يعمل حارس المتحف الفرعوني وكان له ثلاثة أبناء الأكبر يعقوب والأوسط آدم وأصغرهم كان عمران رحمه الله.

عقد (عيسى) حاجبيه متسائلًا:

- لماذا هذا الشخص تحديدًا ترحمت عليه؟

نظر (مالك) إلى أسفل متحدثًا:

- لأنه كان شرطيًّا، وقُتل أثناء القبض عليهم.

- هل يعقل ذلك، ذهب ليقبض على والده واخوته وهم أيضًا يقتلونه؟ ما هذه العائلة!!

تنهد (مالك) متابعًا ما كان يرويه:

- لم يكن يعلم بأن والده توفيق هو نفسه (الشمندري) ووالده لم يكن يعلم بأن الكلب **سوف يقتله**، في النهاية، تم القبض على الشمندري وتزوج ابنه (آدم) ابنة العميد (ياسر عز الدين) بعد أن سلم له قطعًا أثرية مزورة وقام بتهريب الأصل إلى الخارج، ثم سافر هو وزوجته وأخوه الأكبر (يعقوب)، وبدأ الشمندري ينفذ خطته واستطاع أن يخدع الضابط بأنه توفي أثناء التحقيق ثم ظهر من جديد، ولكن (ياسر عز الدين) لم يبلغ أحد بظهوره حتى لا تُفسد تلك القضية من جديد.

***

وصل (عمر عابدين) إلى منزل والده بعد أن حصل على البراءة ومجرد ما دلف إلى باب القصر الداخلي وجده يقف على درج السلم الخشبي مشيرًا إلى الحراس الذين أتوا مع ابنه ليخرجوا في الحال، ثم بدا يخطو إلى أسفل ببطءٍ وهو ينظر إليه بغضب شديد حتى توقف أمامه، ولم يتحدث هو كان فقط يتطلع إليه بحدة جعلت ابنه يكاد أن يخر أرضًا خوفًا من تلك

النظرات، حتى الحديث لم يستطع أن يتفوه به ليقترب والده برأسه هامسًا جوار أذنه:

- أقتلك أنا بدلًا من الداخلية.

قبل أن يرد ابنه أمسكه من عنقه بقوة صارخًا في وجهه:

- أخبرني أيها الغبي ما الذي فعلته؟ أتريد أن تحطم ما قمت ببنائه؟

ثم دفعه بعيدًا وهو يتابع:

- لن أسمح لك.

بدأت الدموع تنهمر على وجهه (عمر) حتى تحدَّث بصوت مرتعش:

- لم أقتلها يا أبي أقسم لك.
- اصمت ولا تتحدث إياك أن تظن بأنني أخرجتك حبًّا في تفتان أنا فعلت ذلك حفاظًا على اسمي وخوفًا على صحة أمك، أما أنت فلا

تعني لي شيئًا.

نظر ابنه إلى أسفل، ولم يتحدث فهو يعلم أباه جيدًا لا يحب ان يستمع إلى أي صوت غير صوته؛ لذلك التزم الصمت وهو يرمقه بنظرات منكسرة ليجده يسأله بصوت منخفض:

- أين خبأت السلاح الناري؟
- داخل حقيبة قديمة أعلى بناية العقار الذي أسكن به.
- إذًا كنت لم تقتلها، لماذا خبأت سلاحك؟
- لأنني وجدتها مقتولة وسلاحي بجوارها وشاهدني الحارس وأن ساعد

نبسم أبوه ساخرًا وهو يرد:

- ماكر ومخادع، ولكن لا تستطيع خداعي.

انتهى وهو يخرج هاتفه ليطلب المحامي، ثم تحدَّث إليه قائلًا:

- السلاح أعلى العقار الذي يسكن به عمر تخلص منه الليلة.

أنهى المكالمة وهو يعقد رباط معطفه الحريري الطويل ثم صعد إلى غرفته بخطوات سريعة ليشاهد زوجته تركض نحو ابنها وتعانقه باكية فهز رأسه بضيق دالفًا غرفة نومه وهو يقلب كفيه قائلًا:

- هذا الابن يريد أن يضيع كل ما فعلته، وأمه تعانقه بدلًا من صفعه.

انتهى وهو يجلس على الفراش متحدثًا بداخله:

- لو يعلمون ما الذي فعلته حتى أصبح هكذا لما فعلوا ذلك، لو علموا أنني كنت أُحتقر من الصغير والكبير لمجرد مهنتي البسيطة يحافظوا على ما يمتلكونه الآن، أغبياء.

***

الثالثة فجرا منزل ياسر عز الدين

انتفض (ياسر) من مكانه وهو ينهي المكالمة سريعًا واضعًا الهاتف أمامه ليبدأ بارتداء ملابسه وتجهيز سلاحه الناري، وخرج من غرفته مهرولًا بخطوات سريعة لتسأله ابنته عما

بحدث فأخبرها على عجالة أنه ذاهب المأمورية طارئة الآن وسيارة الشرطة تنتظره بالخارج، انتهى وهو يودعها ليخرج من المنزل مستقلًا السيارة مشيرًا للسائق بالانطلاق، كانت (نورين) تتبع أباها بقلق شديد فهي تخشى عليه كل شيء خصوصًا بعد ما رأت زوجها يقتل أمامها، قاطع أفكارها صغيرها وهو يمدُّ يده بهاتف أبيها لتأخذه بسرعة محاولة أن تلحق أباها، ولكنها استمعت لصوت السيارة تبتعد فنظرت إلى الهاتف وهي تفكر ليزداد قلقها أضعافًا؛ لأنها لم تستطع أن تطمئن عليه، مرت لحظات حتى استمعت إلى رنين هاتفه من رقم غير معروف فوافقت على المكالمة ظنًا منها بأن المتصل هو، ولكن لا مجيب ظلت تردِّد وتسأل من المتصل، ولكنها تستمع إلى صوت أنفاسه فقط، أنهت المكالمة بعينين شاردتين، وهي تجلس على الكرسي تداعب شعر ابنها دون أن تنظر إليه، لقد تغيَّر والدها كثيرًا لم يعد يشاركها كالسابق ربما اختيارها لزوجها جعل والدها يشعر دائمًا بأنها فضلت عليه غيره، ولكن ما لم يعلمه هو أنها فعلت ذلك ليس فقط لحبها لآدم، ولكنها أرادت أن تقدم نفسها فداءً أبيها؛ لأنها تعلم جيدًا لو تركت المعارك مستمرة بينه، وبين أبناء (الشمندري) لكان أصابه الأذى حتمًا ولو بعد حين.

***

توقفت (رجال الشرطة) تترقب العقار بقيادة الضابط (شريف) و(ياسر عز الدين) يجلس في السيارة وفي يده جهاز لا سلكي منتظرً أن يعطي إشارة الهجوم، إنها لحظة صعبة، وإذا تأخروا أو تقدموا دقيقة واحدة لفسدت خطتهم، إنهم يريدون القبض على الرجال الذين أرسلوا من قبل المحامي

ليصبحوا في موضع اتهام، ومن ثم الحصول على السلاح الناري الذي به بصمات (عمر عابدين) دقائق وتوقفت سيارة أسفل العقار، ثم خرج منها رجل وترك السائق في مكانه، وبدأ بالصعود هنا بدأ (ياسر) أن يعطى أولى أوامره وهو أن يتم القبض على السائق دون أن يشعر به الثاني الذي. ستقسم رجال الشرطة إلى ثلاثة فِرَق، الأولى تتحفظ على السيارة ومن فيها والثانية تصعد بالتزامن مع وصول الرجل أعلى البناية بقيادة الضابط والثالثة تأمن ما حول العقار، لم يتلفت السائق إلا عندما وجد ثلاثة رجال حوله مشهرين أمامه الأسلحة النارية مشيرين له بعدم إصدار أي صوت، ثم أمسكوا به ووضعوا الأساور الحديدية في يده، وأخذ كل المتعلقات الشخصية التي تخصه خصوصًا هاتفه المحمول، أما الثاني مجرد ما صعد إلى أعلى، وأمسك الحقيبة ليأخذ منها السلاح انقضَّ عليه الضابط، ورجاله فاعلون معه مثل ما فعلوا مع السائق، تلقى (ياسر) الإشارة بإتمام العملية حتى أومأ قائلًا:

- هيَّا اذهبوا بهم إلى المديرية ولا تخبروا أحدًا بهويتهم حتى أحقق معهم بنفسي قبل عرضهم على النيابة.

انتهى وهو ينظر أمامه بجمود وعينين ضيقتين؛ فهو يعلم بأن (صلاح عابدين) سوف يفعل كل ما بوسعه حتى لا يغرق.

انطلقت السيارات أمامه ثم تحرك سائق سيارته خلفهم متجهين إلى مديرية الأمن؛ فهو يريد أن ينهي هذا التحقيق سرًّا وفي أسرع وقت قبل أن يتسرب الخبر، وتصبح القضية أكثر تعقيدًا.

***

ذهب (مالك) إلى مديرية الأمن بعد أن تم استدعاؤه بطلب من (ياسر عز الدين) لحضور التحقيق مع هؤلاء الرجال لقد وافق الجهاز على تعاونه مع هذا الشاب ليقدم لهم الأدلة المتبقية في مسرح الجريمة حتى لا يتركوا أي ثغرة تلك المرة لمحامي هذا الرجل، دلف إلى المكتب وهو يلقي السلام ثم صافح (ياسر) وجلس متسائلًا:

- لم أسمع عن تلك الجريمة، ما الذي حدث؟

تبسم (ياسر) ابتسامته الطيبة ثم تحدث قائلًا:

- لازلت كما أنت يا مالك لا تتحدث إلا عن العمل.

بادله الشاب نفس الابتسامة، ولكن بأكثر جدية وهو يرد:

- أنت تعلم سيادتك، أنا في الحياة من أجل عملي فقط.

نهض (ياسر) وهو يقول:

- لا يا بني لا تفعل مثل أبيك أنت لا زلت في مقتبل العمر عش لنفسك ولو قليلًا:

أومأ (مالك) ولم يتحدث حتى جلس (ياسر) على الكرسي المقابل له متحدثًا:

- أعتذر منك لطلب حضورك في هذا الوقت أنا أبلغتهم أن يخبروك فقط، وتأتي في الصباح، ولكنني تركت الهاتف في المنزل دون قصد ما في الأمر أنها جريمة قتل حدثت والجاني ابن رجل الأعمال الشير (صلاح عابدين).

حدق (مالك) ليتابع (ياسر): حصل على البراءة في أول جلسة، ولكن بتدبير منَّا؛ لأن السلاح المنفذ به الجريمة كان مختفيًا في مكان ما فنصبنا لهم الكمين، وهم بالفعل وقعوا

فيه، وسوف يجري الآن تحقيق معهم قبل أن يشعر أحد باختفائهم، ونريد منك حضور هذا التحقيق، ومن ثم الذهاب إلى مسرح الجريمة بصحبة فريق البحث الجنائي لتعطينا تقريرًا كاملًا عما حدث هذا كل ما في الأمر.

- اتفقنا يا سيدي نسأل الله التوفيق، ولكني أريد أن أخبرك بشيء...
- تفضل.
- يجب أن تظل أنت، وكل العاملين على تلك القضية مجهولين الهوية بالنسبة لهذا الرجل لأنه لن يترك ابنه لكم بتلك السهولة.

هزَّ (ياسر) رأسه بالموافقة ثم تحدث:

- وأنت أيضًا لا نريد أن يعلم أحد مشاركتك معنا تلك المرة.

انتهى وصمت قليلًا ثم نظر إلى (مالك) وأردف:

- أتعلم أن هذا الرجل كان والدك يحقق معه قديمًا قبل أن يصبح هكذا.

عقد (مالك) حاجبيه متسائلًا:

- لم أفهم، هل تم القبض عليه من قبل؟
- نعم، ولكنه كان حارس عقار، وكان له اسم آخر، كان يدعى...

ظلَّ يفكر قليلًا، وقبل أن يتحدث قاطعه (مالك):

- حماد.

اندهش (ياسر) وهو يرد:

- نعم هل أخبرك والدك عنه.

ظلَّ (مالك) صامتًا ثم سأله:

- وكيف تركه بعد أن قتل كل هؤلاء؟

تبسم (ياسر) بيأس ثم أجاب:

- لعدم ثبوت الأدلة، ولم يعترف بالفعل ثم تم الإفراج عنه بعد الحبس الاحتياطي، وهرب خارج البلاد ليعود باسمه الجديد وهو اسم جديد استطاع توثيقه رسميًّا في الأوراق بنفوذه التي لا تعلم كيف تعرف عليها، ومن أين أتى بكل هذه الأموال، لا عليك لقد كنا نرى أكثر من ذلك بكثير، وكلهم في النهاية يقعون تحت أيدي العدالة عندما تصبح نظيفة مثل تلك الفترة.

تنهد (مالك) غاضبًا، ولم يتحدث بينما (ياسر) كان ينظر إليه بعد أن شعر أنه ارتكب خطأ غير مقصود.

***

استيقظ (صلاح عابدين) على صوت سيارات الشرطة وهي تقف خارج القصر وصوت طرقات قوية ومتتالية على الباب حتى انتفض من سكانه مرتديًا ثيابه سريعًا، وهو يخرج من غرفته متسائلًا بصوتٍ عالٍ:

- ما الذي يحدث بالأسفل؟

انتهى وهو ينظر ليجد رجال الأمن داخل منزله بعد أن فتح لهم حارس فأجابه الضابط:

- معنا أمرٌ بالقبض على نجلك عمرك أين هو؟

حدَّق فيه (صلاح) غاضبًا ليجيبه بحدة:

- وماذا فعل تلك المرة؟

قالها بع أن راغ للحارش حتى يخبر ابنه بالرحيل، ولكن رجال الشرطة كانوا قد سبقوه وأتوا به من غرفته مكبل بالأصفاد فصرخ في الضابط وهو يتابع:

- اتركوه أنتم لا تعلمون مَن أنا.

نظر له الضابط ثم أخبره بصوت هادئ:

- لا يا سيد صلاح نحن نعلم جيدًا من أنت ولكن لا أحد فوق القانون

ظلَّ (صلاح) ينظر إلى ابنه بحسرة، ثم يتراجع وينظر بغضب حتى تحدث للضابط مرة أخرى بصوت أكثر حكمة:

- أيها الضابط، هل يمكننا التحدث قليلًا حتى أعلم ما الذي فعل ابني؟

هزَّ الضابط رأسه يمينًا ويسارًا، ثم أجابه بتعنت:

- يمكنك أن تحضر معنا إلى القسم، وهناك سنخبرك بكل شيء.

انتهى وهو يشير لرجاله بالذهاب ليغادروا تاركين والده يرمقهم بتوعُّد إلى أن خرجت زوجته وهي تصرخ في وجهه قائلة:

- افعل أي شيء لا تتركهم يذهبون به.

ظلت تدفعه باكية وهي تردِّد تلك الجملة، ولكنه لم ينظر لها من الأساس لقد توقف عقله تمامًا عن التفكير فلم يكن في حسبانه أبدًا أن يتم القبض على ولده مجددًا.

الفصل الثالث

في قانون العصابات العدو القديم أخطر بكثير من عدو قادم لأول مرة، لذلك يجب التخلص من كل شيء حتى رفات القتلى لأنهم أحيانًا يعودون.

**

جبانة الباشورة (لبنان)

كانت الأمطار غزيرة في ذلك اليوم، لم تستطع قدماه أن تحمله جيدًا وهو يمشي بين قبور الموتى، ولكنه لم ييأس بعد، لا بُدَّ أن يلقي نظرته الأخيرة على هذا القبر بالتحديد، والذي موسم بيافطة مكتوب عليها (يعقوب توفيق) وتاريخ الوفاة، أقترب أكثر وهو يحتضن الحجارة، وظلَّ يبكي بدموع تكاد أن تكون أشد من المطر نفسه ثم بدأ يتحدث بانهيار على عكس عادته: «يعقوب، سامحني أنا لم أستطع حمايتك تلك المرة لم أصدق أنك أصبحت غير موجود سامحني أرجوك ولكن أقسم لك لن أترك دماءك دون أن أجلب لك دماءهم جميعًا، سوف أعود ذات يوم إلى هذا المكان، وأخبرك بأنني قتلتهم جميعًا، الوداع يا يعقوب».

انتهى وهو ينهض مترجلًا إلى الخارج بجسد غير متزن حتى ركب السيارة طالبًا من السائق أن يذهب به إلى الميناء، لقد قرر العودة إلى مصر؛ لأنه الآن بمفرده لن يستطيع أن يفعل أي شيء، ولكنه يحمل لهم في قلبه كراهية ستجعله أقوى بكثير مما سبق، انطلقت السيارة ليخرج هاتفه طالبُا رقمًا ثم تحدَّث إليه:

- أنا عائد وسوف تبحر السفينة الليلة أريد أن ألتقي بك في أسرق وقت.

صمت قليلًا، ثم أردف:

- لا داعي أن تمكر لي فأنا أصبحت أسوأ بكثير مما سبق ولا أملك شيئًا حتى أخشى خسارته.

أنهى المكالمة ثم نظر إلى السائق في المرآة، وقال:

- من فضلك توقف هنا لحظة.

أومأ السائق متوقفًا بسيارته جانب الغابات والأشجار الكثيفة، ثم نظر إلى الرجل بدهشة لماذا طلب الوقوف هنا ليجده يترك السيارة مشهر سلاحه في وجهه طالبًا منه النزول.

خرج السائق وهو رافع يده إلى أسفل ليشير له الرجل بالابتعاد ثم تحدَّث قائلًا:

- سوف أقود بمفردي، وسيارتك سوف تجدها في جراج الميناء، أنني أن تتفهم الأمر حفاظًا على حياتك.

انتهى وهو يدلف إلى السيارة وانطلق.

***

مسرح الجريمة بمحافظة الإسكندرية

وصل (مالك) إلى الغرفة التي تمت بها جريمة القتل وبجواره يقف (ياسر عز الدين) وفريق البحث الجنائي، أن ما يحدث الآن أشبه بالطلاسم وعالم السحر، أن هذا الشاب سوف يتواصل الآن مع عالم الجريمة والأشياء التي شهدت

الحادث، أغمض عينيه، وبدأ العرق يتسلل جبينه ليشير (ياسر) إلى رجال الشرطة بالتراجع خارج الغرفة فأنه يعلم أن (مالك) يحتاج إلى تركيز شديد جدًّا، ولا يريد أن يستمع حتى إلى أنفاس شخص واحد، ظل يتمتم بكلمات لا يسمعها غيره ثم نظر أمامه وهو يأخذ نفسًا عميقًا متخيلًا ما حدث بعد أن سجلت ذاكرته كل تفاصيل الغرفة، رأى الفتاة جالسة على الفراش وأمامها (عمر) والذي كان يتحدث منفعلًا، وفي يده سيجارته التي كانت قد أوشكت على الانتهاء مما تسبب في حرق سبابته، وقبل أن تنطفئ أطفأها هو في كنف الفتاة الأيمن حتى صرخت في وجهه يبدو أن ما تفوهت به جعل الجاني يشعر بإهانة شديدة فأخرج سلاحه الناري حتى نظرت له الفتاة ونهضت لتدفعه بكلتا يديها، ولكنها تلقت طلقةً واحدةً اخترقت جسدها واستقرت بداخله لتسقط على الأرض في الحال، أما هو فظلَّ يهرول حولها ولم يصدق بأنه فعل ذلك فنظر إلى النافذة وبدأ يخطط لحدوث شيء يضلل به رجال المباحث حتى قام بضرب الزجاج بواسطة يد سلاحه الناري ثم فرَّ هاربا.

انتهى (مالك) من مشاهدته لما تخيل حتى تقدَّم بخطوات بطيئة إلى جانب الفراش، ونظر أرضًا وهو يقول:

- تلك السيجارة المحترقة لم تُحرَّز أيها الضابط رغم أنها دليل إدانته أيضًا؛ لأن من المؤكد أن عليها بصماته، وإذا دققت النظر أيضًا إلى الصورة التي أخذت من قِبل فريق البحث، سوف تجد حرقًا صغيرًا في كتف الفتاة.

أومأ (ياسر) ليشير إلى رجال الشرطة بأخذ الأدلة الجديدة، ثم نظر إلى (مالك) متحدثًا:

- شكرًا لك يا مالك سوف أريد تقريرك الليلة هل تستطيع؟

- نعم خلال ساعات سوف يصلك عبر البريد الإلكتروني.

قالها وهو يغادر لأنه شعر بتدهور حالته النفسية، وهذا يحدث له في كل مرة يفعل فيها ذلك.

لم يسأله (ياسر) عن سبب ذهابه؛ لأنه يعلم جيدًا بعالم الشاب المحقق الخفي والذي لم يخيب ظنه أبدًا، ظل يرمقه حتى غادر الشقة فالتفت إلى الضابط (شريف) والذي كان ينظر بدهشة لما يحدث حتى تبسم له (ياسر) قائلًا:

- هل كنت تتخيل بوجود شخص كهذا.

هز الضابط رأسه يمينًا ويسارًا ثم سأله:

- سيدي، كيف علم بذلك؟

تنهد (ياسر) ثم أشعل سيجارة وهو يرد:

- هذا الشاب لديه موهبة كبيرة لم يسبق لي معرفة بمثلها، ولكن مقابل حصوله على ذلك دفع الثمن كبيرًا.

- لم أفهم أي ثمن دفعه.

صمت (ياسر) قليلًا ثم أجابه:

- إنه لا يتعامل مع نفسه على كونه بشرًا بل آلة صُمِّمت للبحث عن الأدلة الجنائية؛ لذلك لم يعد يتمتع بحياته مثل البقية.

يبدو أن الضابط لم يفهم ما يقوله رئيسه ولكنه على الأقل علم أن (مالك) ما هو إلا مريض نفسي وهب حياته لهذا العمل قاطعه (ياسر) قائلًا:

- سوف نرسل الأدلة والتقارير للنيابة غدًا، وبعد عرض المتهم عليهم سوف يحددون جلسة عاجلة وينفذ به الحكم، منذ تلك اللحظة لا أريد أن أراك في شيء يخص تلك القضية؛ لأن والده سوف يبحث عنك.

حدَّق فيه الضابط متسائلًا:

- وماذا سيريد منِّي؟ تقصد أنه سينتقم.

نظر له (ياسر) وهو يرد بهدوء:

- لا سيحاول فعل أي شيء معك يجعلك تفسد محضر الضبط؛ لذلك لا أريدك أن تكون هدفًا واضحًا له حتى ينفذ الحكم، اتفقنا؟
- كما تريد، على كلٍّ أنا لا أخشاه.

أومأ (ياسر) وهو ينظر إلى رجاله، وهم يغلقون الأبواب مستعدين للرحيل.

***

لم يعد (سراج) يعلم ما الذي يمكنه فعله بعد أن تم القبض على الرجال الذين أرسلوا لجلب السلاح الناري، ولا يعلم كيف يبلغ (صلاح عابدين) بذلك، ولكن الأهم أنه لا يجعلهم يتفوهون بكلمة أو يذكروا اسم أيٍّ منهم، كان يجلس في مكتبه ينفث دخان سيجارته ويفكر بقلق شديد حتى أمسك بهاتفه، وطلب أحد أمناء الشرطة وبدأ حديثه معه

- كيف حالك؟ أتمنى أن تتذكرني، أنا سراج المحامي.
- مرحبًا يا سيد سراج بالطبع أتذكرك، كيف حالك؟
- أنا بخير، كنت أريد مساعدتك في أمر ما، هل أنت بمفردك؟

- نعم تفضل.
- سوف أخبرك بأسماء أشخاص تم القبض عليهم، وأريد أن أطلع على محضر التحريات قبل إرساله للنيابة هل تستطيع ذلك؟

صمت الأمين للحظات، ثم أجابه:

- أستطيع، ولكن هذا سيكلفك عشرة آلاف جنيه ليس لي، ولكن لزميل في العمل هو من يكتب المحاضر.
- لا بهم، سوف أرسلهم لك ومعهم المزيد؛ لأنني أريد خدمة أكبر بعدها، اتفقنا؟
- أنا في خدمتك.

أنهى (سراج) المكالمة وقد اطمأن قلبه؛ فهو يستطيع من خلال الرجل أن يتواصل مع هؤلاء الرجال قبل ترحيلهم للنيابة.

***

توقف (مالك) بسيارته أسفل العقار، وظل ممسكًا برأسه لوقتٍ طويل، فهو يشعر بصوت كالدوي بداخله ولا يستطيع أن يوقفه، خرج من السيارة مترجلًا إلى الداخل، ثم اتخذ المصعد إلى الطابق الثالث ليخرج متوجهًا إلى شقة (عيسى) حتى يطمئن عليه.

طرق الباب فأذن له بالدخول، ليدلف إلى الشقة، ومنها إلى الغرفة ثم نظر إلى (عيسى) قائلًا:

- هل أنت بخير؟

أومأ الرجل متبسمًا، ثم سأله:

- نعم، ما الذي أحلَّ بك؟

تقدَّم (مالك) جالسًا بجواره ثم تحدَّث قائلًا:

- أنا مرهق جدًّا الليلة، ولكنى أردت أن أطمئن عليك.

تبسم له العجوز وهو يرد:

- كم أنت خلوق يا مالك!

انتهى وهو ينظر بعيدًا بوجه شارد ليتحدث (مالك) قائلًا:

- عم عيسى، ما الذي أصابك؟ ماذا تخفي عليَّ؟

التفت إليه العجوز وهو يكرر كلمته الأخيرة بدهشة:

- أخفي عليك!!

- نعم، أنت الآن حائر في أمر ما تريد أن تخبرني به، ولكن لا زلت تتراجع.

- سبحان الله، مَن أنت أيها الشاب، هل أنت تقرأ ما بداخلي؟

هزَّ (مالك) رأسه بالنفي وهو يرد:

- لا أنا أعلمك جيدًا.

أومأ (عيسى) ثم أشار نحو خزانة الملابس قائلًا:

- ستجد هنا حقيبة من القماش، أحضرها هنا.

نهض (مالك) متوجهًا حيث أشار، وقام بفتح الخازنة ليجلب منها الحقيبة، ثم عاد بها ووضعها على الفراش بينهما وجلس منتظرًا ما سوف يحدث، أمسك بها العجوز وبدأ بفتحها ليخرج منها نقودًا ورقية وظلَّ يضعها بجانبه، كانت كثيرة

مقسمة إلى فئات المئتين جنيه كل مجموعة مربطة فوق بعضها حتى انتهى وهو يقول:

- هذا المبلغ يتخطى المليون جنيها.

ظلَّ (مالك) ينظر إليه دون أن يتحدث حتى تابع (عيسى):

- هذه ثروتي التي أخفيتها عن الجميع، كان من المفترض أن تكون لابنتي ولكنها لا تستحق، وأنا يا بني كما ترى سوف أفارق الحياة في أي لحظة ولا بُدَّ أن يكونوا إرثًا لشخص ما.
- ماذا تقصد؟
- أقصد أنك اعتنيت بي مثل أبيك تمامًا، وأنت تظن أنني لا أملك ثمن الدواء، في الحقيقة كان مجرد اختبار لك.

صمت (مالك) قليلًا وهو يفكر، ثم ردَّ:

- لا لا يمكن هذا ليس من حقي.

انفعل (عيسى) قائلًا:

- لا وقت أرجوك خذهم ولا تجادل.

انتهى وهو يسعل بقوة لينهض (مالك) محضرًا كوبًا من الماء، وعاد إليه حتى وجده مائلًا برأسه إلى أسفل وانقطع نفَسُه تمامًا.

***

لقد أحس (ياسر) بأنه ارتكب خطأ كبيرًا عندما ترك هاتفه في المنزل دون قصد، وخصوصًا أنه عندما تفحصه، وجد في سجل المكالمات مكالمة واردة من الرقم الذي عكف على

إخفائه دائمًا ليضرب الخوف قلبه، هل فُضحَ أمرُه أمام ابنته؟! ما كان عليه إلا أن يطلبه ويسأله مَن الذي وافق على مكالمته، وضع الهاتف على أذنه وهو يترقب حتى لا تستمع إليه ابنته، وبمجرد ما وافق الآخر على المكالمة سأله (ياسر) بصرامة:

- مَن الذي هاتفته وأنا خارج المنزل؟

ردَّ الآخر بهدوء:

- يبدو أنها ابنتك، ولكنى لم أتحدث وأنهيت المكالمة.

تنهد (ياسر) ثم سأله بشك:

- هل هذا ما حدث حقًّا؟
- نعم، أنت تعلم بأنني لا أتحدث مع أحد غيرك حتى الآن.

اومأ (ياسر) ثم صمت قليلًا، ليتابع الآخر:

- أخبرني ماذا فعلت؟ هل نجحت خطتي؟
- نعم، كل شيء حدث مثل ما خططت بالحرف والآن ننتظر المحاكمة، ولكن كيف استطعت أن تضع جهاز التجسس داخل منزل صلاح عابدين؟

ضحك الآخر ثم ردَّ:

- لا يهم، المهم أنني أوفيت وعدي، والآن جاء دورك لتوفي بوعدك لي.

صمت (ياسر) للحظات ثم أجابه:

- بالطبع، ولكن أمهلني بعض الوقت، أرجوك حافظ على اتفاقنا حتى يحين الوقت المناسب.

زفر الآخر غاضبًا، ثم تحدث:

- أريد معرفة الوقت المناسب الآن.
- بعد تنفيذ الحكم، وصدقني لن أخلف معك وعدًا.

أنهى (ياسر) المكالمة ليجد مكالمة أخرى من رئيس قسم منتزه أول ليخبره فيها بمقتل الضابط (شريف) المسؤول عن قضية (عمر عابدين) لينهي المكالمة سريعًا وهو يغادر المنزل مرة أخرى دون أن يبلغ ابنته من الأساس بعودته.

***

تعامل (مالك) مع غيبوبة السكر التي أتت إلى (عيسى) بشكل جيد واستطاع خلال دقائق أن يوقظه بعد الإسعافات الأولية وقدَّم له الدواء ليستريح بعدها وتركه عائدًا إلى منزله المظلم، لا أحد يتخيل بأن هذا الشاب مصابٌ بمرض نادر تعجز جميع الأطباء أمامه وهو (أوهام المرجعية) هذا المرض مصنَّف من أخطر أمراض الانفصام لأنه لا يتوهم المريض فقط بأحداث غير حقيقية أو التناقض بداخله، ولكنه في بعض الأحيان يظهر له أشخاص ليس لهم وجود من الأساس، إنهم فقط من صُنع خيال المريض حتى يستطيع التكيف على وضع معين والعبور من الأزمات بالشكل الذي يراه هو صحيح، وهذا ما أخبره به الطبيب قبل عدة سنوات، الغريب أن (مالك) حتى الآن لم يجد أعراضًا لهذا المرض بداخله غير الضحايا الذين يأتون إليه في مسرح الجريمة ويتحدثون بداخله ليرى كل شيء حدثَ؛ لذلك هو يرفض العلاج ويعتبر مرضه مجرد منحة من الله ليساعده في عمله، أما خوفه من تدهور حالته دائمًا يتلاشى بمجرد ما يتصفح مجلد أبيه ويقرأ ما حدث في الماضي.

توجه بخطوات بطيئة نحو مكتبه، ولكنه أحس بخطوات تقترب منه، ضغط على زر الإضاءة فلم يجد أحدًا التفت إلى المرآة ليرى انعكاسه والذي كان يرمقه بغضبٍ فحدق وهو يتراجع للخلف ولم يحدث لانعكاسه مثلما فعلَ، ظلَّ ينظر له غاضبًا ثم تحدَّث بصوت غليظ:

- مالك، أنصِت إليَّ.

استدار (مالك) موليًا نظره بعيدًا عن المرآة وهو عاقد حاجبيه محاولًا التركيز لعلَّه يستيقظ من تلك الحالة، ولكنه استمع إلى الصوت مرة أخرى وهو يتابع:

- لا تترك حقك مهما حدث.

التفت إليه وظلَّ ينظر بدهشة ثم ردَّ:

- أنا لست مجنونًا لأتحدث مع نفسي، أنا معترف بمرضي، ولن استسلم.

تبسَّم انعكاسه وهو ينظر إلى أسفل، ثم رمقه بحدة قائلًا:

- والدك لم يقصص عليك القصص كاملة، لا بُدَّ أن تقرأ الليلة، وبعدها اذهب حيث أمرك، واسأل الضحايا من تكون.

أخذ (مالك) نفسًا عميقًا وهو يتمتم بكلمات بداخله حتى تراجع انعكاسه الحقيقي أمامه فزفر وهو يلقي بجسده على الفراش ممسكًا رأسه بكلتا يديه متحدثًا:

- ما الذي يحدث؟! هل أنا في طريقي إلى الجنون، لا لن أبقى هكذا، لا بُدَّ أن أهاتف الطبيب.

نهض تاركًا الفراش وهو يخرج هاتفه باحثًا عن الرقم، ولكن توقفت يده عن الحركة وسقط هاتفه، إنه لا يعلم بأن كل ما يحدث خارج عن إرادته، وأنه مجبر على كل شيء لا أكثر، كثيرٌ منَّا لا يعلم ذلك، نحن مخيَّرون فقط في نطاق معين ولو حاوَلَ أحدنا العبور إلى الخارج لتصدى له كل شيء بما فيهم جسده وعقله، انحنى ليلتقط الهاتف متراجعًا عن تلك الفكرة محاولًا الإمساك بمجلد أبيه حتى عادت يده تعمل، فقام بفتحه من المنتصف ليجد أمامه تلك العبارة:

«حاول حماد بكل الطرق أن يقتل ما تبقى من ضميره حتى نجح، ولكنه لا يعلم بأنه ترك وراءه شبحًا يتتبعه وسوف ينال منه في يومٍ من الأيام»

***

وصل (ياسر) إلى منزل الضابط (شريف) والذي قُتل في فراشه من قِبَل شخص ملثم رصدته كاميرات المراقبة وهو يدلف إلى العقار وأيضًا وهو يهرب، أمر (ياسر) رجاله بفض الحشد الذي حدثَ أمام باب الشقة من قبل الجيران حتى يستطيعوا متابعة عملهم، واقترب من الغرفة ليجد جثة الضابط على الفراش والطلقة مخترقة جبينه، أما زوجته فأصيبت بحالة من الانهيار العصبي وأخذها رجال الإسعاف ظل ينظر إلى الجثة بحزن لتسقط الدموع من عينيه وهو يقول:

- رحمك الله يا شريف أعدك بأن حقك سوف يأتي قريبًا جدًّا.

انتهى ليستمع إلى رنين هاتفه فأخرجه ليجيب على المكالمة ليستمع إلى رجل يقول:

- ما تشاهده الآن مجرد إنذار لك، إذا لم تبرّئ (عمر عابدين) سوف تكون ابنتك أو حفيدك الجثة القادمة ومن بعدهم أنت.

قالها وأنهى المكالمة، فسأله وكيل النيابة عما يحدث لينظر إليه شاردًا، ثم أجابه:

- أحدهم يهددني بقتل عائلتي أريد غدًا تقريرًا عن رقم الهاتف هذا وموقعه.

أومأ وكيل النيابة وهو يشير إلى مساعده بنقل رقم الهاتف ليتحرك (ياسر) سريعًا تاركًا المكان، ثم ركب سيارته طالبًا من السائق التوجه بسرعة إلى منزله، انطلقت السيارة فأخرج هاتفه، وطلب رقمًا واضعًا الهاتف على أذنه قائلًا:

- أريد مقابلتك الآن، أين أنت؟

صمت قليلًا مستمعًا إلى الرد ثم تحدَّث ثانية:

- حسنًا، سوف نحسم الليلة كل شيء.

أبهى المكالمة وهو يفكر في ابنته التي عاشت طوال عمرها معه في خطر، كان يرى بأنها ليس لها أي ذنب حتى تتعرض لكل هذه المخاطر فهو يرى بأنه كان على خطأ عندما أدخلها من البداية في شؤون عمله بداية من قضية المتحف، كان عليه إخفاؤها عن الجميع، ولكن الأهم من ذلك، من أين يأتي (صلاح عابدين) بتلك المعلومات، وكيف علم أن (ياسر) هو المسؤول عن قضية ابنه رغم سرية التحقيقات التي حدثت، لا بُدَّ أن أحدهم ينقل المعلومات من الداخل وهذه كارثة لم تكن في حساباته

***

الفصل الرابع

مَن لا يعلم يظل سعيدًا.

**

نهض (صلاح عابدين) بعد أن أنهى المكالمة مع محاميه الخاص، ولم يقتنع بتلك الأفكار بعد، إنه لا يريد أن تُشوَّه سمعته بتلك الطريقة، ولا يريد الخوض في حروب مع الأجهزة الأمنية لأنها دائمًا تنتهي بالخسارة مهما طالت مدتها، كما أنه كان ينوي الترشح لمجلس الشعب، ويعتقد الآن أن الأمر أصبح مستحيلًا في حال أن الصحافة ووسائل الإعلام تحدَّثَتْ عن جريمة ابنه، ظلَّ يتجول في مكتبه وهو يفكر حائرًا ليقطع افكاره صوتُ طَرقات الباب فأذن بالدخول ليجد حارسه الشخصي يدلف إلى الغرفة مغلقًا الباب خلفه ليسأله (صلاح) دون أن ينظر إليه:

- ماذا فعلت؟

اقترب منه الحارس وفي يده ملف ورقي، ثم وضعه على المكتب مُخرِجًا منه بعض الصور والأوراق حتى جلس (صلاح) متسائلًا:

- ما هذا؟

أمسك الحارس بإحدى الصور متحدثًا:

- هذه ابنته الوحيدة، كانت متزوجة بالخارج، وقُتل زوجها بعد أن أنجبت منه طفلًا.

ثم أمسك بصورة أخرى وهو يتابع:

- هذا هو يا سيدي.

ظلَّ (صلاح) ينظر إليهم عاقدًا حاجبيه، ثم نظر إلى الحارس متسائلًا:

- وما تلك الأوراق؟

بسم الآخر مجيبًا إياه وهو ينظر فيهم:

- أمرٌ محيّر جدًّا وجدته أثناء جمع تلك المعلومات، هل تعلم من يكون زوجها الذي قُتلَ ومن قتله؟؟

رمقه (صلاح) ليتابع:

- آدم الشاب الذي كان يمتلك القطع الأثرية الثلاث، أعتقد بأنك علمت قديمًا بالقضية الشهيرة 120 جنايات التي تحدث عنها الجميع.

أومأ الرجل حتى أردف الحارس:

- نبيل هو الذي قتل آدم وعائلته بعد أن حصل على القطع الأثرية منهم بالخارج.

حدق فيه (صلاح) وهو ينهض معلقًا:

- نبيل الذي كان يتفاوض معي على تلك القطع.

أومأ الحارس ولم يتحدث حتى أردف الرجل:

- ولماذا لم يخبرني نبيل بأن الآثار الذي يريد بيعها لنا هي نفسها التي كانت تخص تلك القضية؟

- لأن المحكمة أغلقت القضية بشروط يا سيدي وهو يعلم أن تلك القطع بمثابة لعنة على الجميع لذلك أخفاها في الثلاث سنوات الماضية.

- اطلب لي نبيل الآن.

قالها (صلاح) وهو يشعل سيجاره حتى قدَّم له الحارس الهاتف المحمول فالتقطه ووضعه على أذنه قائلًا:

- مرحبًا يا نبيل كيف حالك؟
- بخير يا سيد صلاح سررت بمكالمتك.
- لا وقت لذلك، أخبرني لم أخفيت عليّ بأن الآثار التي بحوزتك هي نفسها القطع الثلاث التي سُرقت من المتحف.

ضحك (نبيل) بصوته الخبيث ثم أجابه:

- لو علمت بتلك الوطنية التي بداخلك لأخبرتك.

انفعل (صلاح) قائلًا:

- لا تتحدث معي بهذه الطريقة، أنت تعرف ما أقصده.

صمت (نبيل) ولم يتحدث فتابع صلاح:

- كيف تجرؤ أن تعرض لي قطعًا تتبَّعها الشرطة.

ضحكَ (نبيل) محاولًا تحسين صورته ليجيبه:

- سيدي القضية مغلقة منذ ثلاث سنوات ثم إنهم خارج البلاد، وهذا يعني أنها عملية شراء ناجحة تمامًا.

صمت (صلاح) قليلًا ثم تحدث:

- وأنا أريدهم هنا داخل البلد.
- ماذا تقول؟! أنت لا تعلم ما الذي فعلته حتى استطعت تهريبهم.
- أنت لم تفعل شيئًا، آدم هو من فعل هكذا.

ابتلع (نبيل) ريقه وهو يرد بصوت منخفض:

- من أين علمت بآدم؟

- أنا اعلم كل شيء يا نبيل.
- هل هو من أخبرك بذلك؟

عقد (صلاح) حاجبيه وهو يرد:

- كيف يخبرني وأنت من قتلته بيدك؟

***

بعد أن اطمأن (ياسر) على ابنته وحفيده أنهما بخير ولم يصِبهما أيُّ سوء، طلب من السائق البقاء بالمنزل معهما لكونه مجندًا ويحمل سلاح حراسة لحماية عائلته حتى يعود ثم ركب سيارته الخاصة وانطلق، كان في ذلك الوقت في أسوأ حالاته لأنه إلى مكان لا يحب أن يزوره أبدًا ليلتقي بشخص تسبب له في كثيرٍ من المتاعب في الماضي ولكنه مضطر، مضطر لأن هذا الشخص هو الوحيد الذي يمكنه أن يساعده في الفترة المقبلة، وأيضًا سيكون حريصًا على حماية من مكر (صلاح عابدين) ورجاله، أشعل سيجارته وهو يضغط على دواسة الوقود وصوت من الماضي يهمس في أذنه: «حكمت المحكمة بإغلاق القضية رقم 120 جنايات». ضغط مرة أخرى بقوة وملامحة تزداد غضبًا حتى استمع إلى صوت آخر من الماضي: «ياسر، تلك القضية استنفدت طاقتك، عليك بتركها فورًا».

كاد الصوت أن يجعل رأسه ينفجر حتى ضغط بقدمه على المكبح لتتوقف السيارة فجأة، وظل يلتقط أنفاسه وكأنه كان يركض لمسافة بعيدة، ثم خرج من السيارة متوجهًا نحو منزل قديم بمنطقة أبيس مترجلًا بخطوات واسعة ليطرق الباب ففتح له ليصبح بالداخل، ثم أغلق الباب خلفه وهو يقول:

- مرحبًا يا آدم.

نظر له (آدم) رافعًا رأسه متسائلًا:

- لم أكن أتخيل أبدًا بأننا سنلتقي ثانية.

***

قبل ثلاث سنوات

بعد أن رصدت رجال (نبيل) كل تحركات (آدم) وأخيه (يعقوب) كان الوقت قد حان لينتقم، ولكنه يريد الحصول على أمواله التي تم دفعها في القطع الأثرية قبل أن يقتلهم جميعًا فاختطف (يعقوب) وأرسل إلى (آدم) إذا لم يعِد له أمواله سيتخلص من هذا الأسير، كان يعلم أن هذا التهديد سيجعله يأتي، ولكن برجال مسلحين وليس بمفرده، وهذا ما حدث بالضبط ليوقعه في فخ لأول مرة، بمجرد ما وصل (آدم) ورجاله وجد وابلًا من الرصاص لا يرحم أحدًا حتى خرج (نبيل) ممسكًا بأخيه وواضعًا السلاح خلف ظهره قائلًا:

- جميع رجالك قد قتلوا، والآن لا يبقى غيرك وأخيك معي، أنا لن أكيد لك في قولي، ولن أعدك بشيء غير الحقيقة، سوف أقتلك وأقتل أخاك ووالدك الذي يدعى الشمندري هذا.

ظلَّ (آدم) مصوبًا السلاح أمامه وهو ينظر إلى رجال (نبيل) الذين يحتلون أماكن مختلفة، وقبل أن يقترب تحدث بصوتٍ عالٍ:

- اسمع يا نبيل أخي ليس له أي ذنب، وأبي مات، أما أنا فلن تستطيع قتلي لأنني أملك نصف ثروتك الآن، اترك أخي ودعنا نتحدث.

ضحكَ (نبيل) ساخرًا من قوله ليطلق بعدها رصاصة في رأس (يعقوب) فسقط جثة في الحال ثم أشار لرجاله بإطلاق الرصاص عليه.

مرغ فيه (آدم) وظل يطلق من مسدسه النار بشكل عشوائي حتى جاءت سيارة من الخلف، وتوقفت أمامه لتصبح حجابًا بينه وبين الرصاص ليجد (سليمان) يخرج منها، وسحبه إلى الداخل وانطلقت بهم، لم يهدأ (آدم) وظل يضرب (سليمان) حتى يتركه يعود، ولكن الآخر لم يفلته وظلَّ يصيح في السائق لينطلق بسرعة أكبر دون أن يبالي ببكاء (آدم) لأنه إذا عاد سوف يموت بالتأكيد ظلت السيارة تقطع الطرق الجبلية بشكل احترافي من قبل سائقها وبدأ (آدم) يصمت عندما شعر بسليمان وهو يحتضر، لقد تلقى رصاصة في ظهره وهو ينقذه ولم يخبرهم حتى فارق الحياة، نظر إليهم (السائق) عبرَ المرآة المعلقة، أمامه ليتوقف بالسيارة فجأة ملتفتًا وهو يسأل برعب شديد:

- ما الذي حدث؟ ماذا أصابه؟

لم يجِبه (آدم) والذي كان في حالة ذهول وصدمة شديدة منعته من الحديث.

***

كانت (نورين) تنتظر زوجها بقلق شديد فهي كانت تعلم بأنه ذاهب ليحرر أخاه، ظلت واقفة أمام الشرفة لساعات وهي

تحمل ابنهما الرضيع حتى وجدت سيارة تتوقف أمام باب المنزل ليخرج (آدم) وهو ملطخ بالدماء طالبًا من السائق الذهاب، ثم دلف وبدأ بالصعود بخطوات ثقيلة حتى ركضت إليه زوجته ممسكة بيده متسائلة:

- آدم، ماذا بك؟

ظلَّ ينظر إليها والدموع تتساقط من عينيه بسرعة شديدة ولم يتحدث حتى وصلا داخل الشقة، ثم دلف إلى غرفة الاستحمام ليبدل ملابسه وينظف جسده سريعًا، وعاد إلى زوجته بنفس حالته، كانت (نورين) تنظر إليه وهي تبكي ربما استنتجت بما حدث وأن أخاه قد قُتلَ ولم تسأله مرة أخرى، أما هو فظلَّ ينظر إلى ابنه الرضيع ثم خفف التقطه من الفراش وظل يعانقه بقوة كأنه يعلم بما سوف يحدث الآن، توقفت السيارات حول المنزل وخرج منها رجال (نبيل) ليبدأوا بإطلاق النار في كل الاتجاهات حتى تحطمت النافذة الزجاجية بالغرفة فصرخت (تورين) متحدثة:

- آدم، ما الذي يحدث؟

لم تجد منه أي ردة فعل غير أنه قبَّل رأس ابنه، ثم وضعه بين يديها، وخرج لهم رافعًا يده إلى أعلى حتى تلقى عدة طلقات في أماكن متفرقة بجسده فسقط أرضًا ليحملوه سريعًا داخل السيارة.. وينطلقوا.

***

بدأ (ياسر) ينظر إلى (آدم) وهو يلتف حوله معلقًا:

- ثلاث سنوات يا آدم وأنا أراك كل يوم، أنت لا تعلم ما الذي حدث لي عندما أخبرتني بأنك على قيد الحياة.

عقد (آدم) حاجبيه متسائلًا:

- هل فرحت بأنني لم أمت؟

تبسَّم (ياسر) ثم نظر له مستنكرًا ما قاله وهو يرد:

- بالطبع لم أشعر بالسعادة أبدًا من قَبْل ذلك اليوم.

- لماذا وأنت تكرهني؟

توقف (ياسر) امامه، ثم اقترب منه وهو يقول:

- لأنني أريد قتلك يا آدم لا أريد أحدًا غيري يفعلها أبدًا.

أومأ (آدم) متحدثًا:

- أنا أمامك، اقتلني إن أردت.

هز (ياسر) رأسه يمينًا ويسارًا مرددًا:

- ليس الآن.

ثم تركه وجلس على الأريكة وهو يتابع:

- قلت لي عندما نلتقي ستخبرني كيف لا زلت على قيد الحياة، رغم أن ابنتي رأتك بعينيها وأنت تموت.

جلس (آدم) أمامه وهو ينظر إلى أسفل متحدثًا:

- عندما رآني (نبيل) وأنا أنزف ظلَّ يوبخ في رجاله على ما فعلوه لأنه أعطاهم أوامر بعدم قتلي، فهو كان يعلم أن الأموال في أحد البنوك ولن يحصل عليها إلا بتنازُل منِّي، فأحضر طاقمًا من الأطباء وأجروا لي عملية جراحية وانتزعوا الرصاص من جسدي وقاموا برعايتي هي عادت لي الحياة، طلب مني تنازُلًا كاملًا عن ثروتي مقابل أن يترك زوجتي وابني يعودان إلى مصر

وأنا لم أجادله للحظة واحدة وفعلت ما يريد، كنت أظن بأنه سيقتلني بعدها، ولكنه عندما علم بأن أن لا زال يملك أموالًا تركني وأخبرني بأنه فعل ذلك فقط حتى يصل إليه من خلالي، وأنني الآن ضعيف لا أملك شيئًا من المال أو الرجال، وضع لي جثة أخي في سيارة وأمر السائق أن يذهب بنا حيث أشاء.

كان (آدم) يتحدث وهو يبكي لقد تغير كثيرًا، لم يعد بقوته كالسابق وهذا ما لاحظه (ياسر) ربما تعاطف معه للحظات، ولكنه لم ينسَ بعد ما فعله به، حتى نظر إليه متحدثًا:

- علمت يا آدم أن المال غير الشرعي لا يفيد صاحبه، ما الذي حدثَ غير موت عائلتك وعودتك بأسوأ حال!

ثم نظر إليه بمكر وتابع:

- آدم، أين أبوك؟

ضم (آدم) شفتيه ثم ردَّ:

- لا أعلم عنه شيئًا منذ أن أتيت إلى هنا.

لم يصدقه (ياسر)، ولكنه لم يُظهِر له ذلك حتى سأله:

- هل تعلم شيئًا عن رجل يُدعَى صلاح عابدين.

عقد آدم حاجبيه وهو يرد:

- لا مَن ذلك الشخص؟
- هذا من جعلني أوافق على مقابلتك، الآن أنصت إليَّ جيدًا.

***

كان (مالك) يقرأ لـ (عيسى من أرشيف والده كعادته كل ليلة فهو تيقن بعد مدة قصيرة أن هذا العجوز هو صديقُه الوحيد من بعد أبيه، ويمكنه أن يأمنه على كل شيء، أما (عيسى) فكان ينظر له وهو يتبسم متمنيًا لو كان عنده ولد مثله لتغير الكثير، ظلَّ يستمع إلى إحدى الجرائم حتى صمت (مالك) وهو ينظر له قائلًا:

- أشعر بأنك تريد قسطًا من الراحة، يمكننا أن نكمل غدًا.

نفى الآخر برأسه وهو يرد بحماسة:

- لا أريد من فضلك أكمل ما تقرأه يا بني فأنا أشعر بالملل الشديد.

أغلق (مالك) الكتاب وهو ينهض قائلًا:

- انتظرني لحظة.

انتهى وهو يغادر الغرفة، ثم عاد إليه بكرسي متحرك جديد به تقنية التحرك الحديث.

حدق (عيسى) في الكرسي وهو يسأله:

- ما هذا؟

تبسم له (مالك) وهو يرد:

- قمت بشرائه لك؛ لأنني انوي الفترة القادمة الخروج معك فأنت صديقي الوحيد.

كاد (عيسى) أن يبكي من قول الشاب فأردف (مالك):

- ماذا بك يا عم عيسى لم أرَ السعادة في عينيك.

ظلَّ العجوز ينظر إليه، ثم فتح ذراعيه مرددًا:

- تعالَ إلى هنا يا بني، أريد معانقتك.

ركض إليه (مالك) وهو يلقي بنفسه بين ذراعيه باكيًا بشدة.

لا يعلم أحدًا منهم من يحتاج إلى الآخر أكثر ولولا وجودهما معًا، ربما لتعثرت حياة أحدهما، تحدَّث (عيسى) بصوت أكثر جدية:

- لماذا تبكي يا بني الرجال لا يبكون أبدًا، تراجع (مالك) وهو يكفكف دموعه ثم ردَّ بصوت منخفض:

- لقد أرسلك الله لي بدلًا من والدي.

تبسم (عيسى) ولم يرد فتابع الشاب:

- هل تسمح لي أن أناديك بأبي؟

أومأ العجوز وهو يربط على كتفه مجيبًا:

- هذا شرف لي أن يكون عندي ولدًا صالح مثلك.

نهض (مالك) ثم حمل (عيسى) ووضعه على الكرسي معلقًا:

- واسمح لي أيضًا أن تخرج للتنزه قليلًا.

انتهى وهو يجر الكرسي إلى الخارج ليصيح به العجوز قائلًا:

- توقف، أنا لا أريد الخروج

شعر (مالك) بالصدمة ليبتعد قليلًا وهو عاقد حاجبيه لينظر (عيسى) إلى أسفل متحدثًا:

- أعتذر منك يا بني، ولكني حقًّا لا أريد.

أومأ (مالك) ثم تركه وذهب إلى شقته مغلقًا الباب خلفه وواصل بكاءه الذي لا يعلم سببه تحديدًا، وما أصعب على

الرجل أن يبكي دون أن يجد مصدرًا لأوجاعه، إنه لم يعد يفهم ما بداخله ومن يكون، هل هو الرجل القوي ذو العقل الخارق، أم إنه الطفل الذي لا يتحمل قسوة الآخرين، قاطع أفكاره رنين جرس الباب فذهب ليفتحه حتى وجد (عيسى) على الكرسي أمامه متحدثًا بفكاهة:

- نسيت أن أشكرك على هذا الكرسي لأنه يمكنه عبور جميع العوائق دون أي مجهود، وهذا يعني أنني يمكنني في أي وقت الدخول لمنزلك وسرقته.

تبسم له (مالك) وهو يفسح له الطريق ليدخل العجوز متأملًا المنزل وهو ينظر حوله بدهشة مرددًا:

- ما هذا هل أنا في غرفة المخابرات.

أمسك (مالك) بمقابض الكرسي وهو يرد:

- أنت لم ترَ شيئًا هكذا تفضل معي:
- بدأ يدخل به غرفة تلو الأخرى حتى طلبَ منه (عيسى) من قليلًا؛ لأنه شعر بالتعب المفاجئ ثم استأذنه أن يعود به إلى منزله حتى يأخذ الدواء فتركه (مالك) وركض إلى الخارج ليجلب له الدواء بنفسه.

***

منطقة عبيه لبنان

تشتهر منطقة عبية بالبيوت القديمة المهجورة في لبنان، لا أحدَ يسكن هنا غير بعض الخارجين على القانون وأغلبهم يعمل في تخزين الأشياء غير المشروعة أو البضائع المهرَّبة

وحمايتها مقابل المال، هؤلاء لديهم الحماية المشددة لبضائع رجال الأعمال فلا يمكن لأحد أن يصل إلى أي منزل هم مُلاك له إلا برغبتهم.

توقفت سيارة سوداء ضخمة أمام أحد المنازل، ثم خرج منها رجلان يحملان الأسلحة الرشاشة ليقوم أحدهم بفتح الباب الخلفي ل (نبيل) والذي خرج من السيارة منهيًا مكالمة كان قد أجراها وهو في الطريق، وظلَّ ينظر أمامه بغرور كعادته حتى خرج له من المنزل رجلٌ يبدو من ملامحه أنه من نفس البلدة فكان له شعر كثيف أبيض اللون ولحية سوداء مرتديًا ملابس غير متناسقة، ثم اقترب منه قائلاً:

- كيف حالك سيد نبيل؟

أومأ (نبيل) وهو يتفحصه بعينيه ليرد:

- أنا بخير، أين بضاعتي؟
- كما وضعتها أنت داخل القبو.

انتهى وهو يشير له بالدخول فانتظر (نبيل) حتى تتقدم رجاله إلى الداخل فهو لا يأمن لأحد، ولولا أنه يعلم جيدًا أن هذا الرجل لا يقوم بفحص ما يخزنه لرفض من البداية أن يخبِّئ الآثار في هذا المنزل، تقدمت رجاله إلى الداخل وهو خلفهم حتى وصلوا إلى الدرج المؤدي إلى أسفل فنزلوا جميعًا إلى إحدى الغرف ليخرج الرجل مفتاحًا صغيرًا من جيبه، ولكنه تحدَّث فجأة وهو يقول:

- لعنكم الله.

عقد (نبيل) حاجبيه وهو يسأله:

- ما الذي تقوله، ماذا حدث؟

دفع الرجل الباب الحديدي بيده وهو يصيح قائلًا:

- مَن الذي قام بفتح باب الغرفة؟

انفعل (نبيل) وهو يركض إلى الداخل قائلًا:

- تسألني أنا؟ أيها اللص، أين حقيبتي.

أصبحوا جميعًا داخل الغرفة يهرولون باحثين عن الحقيبة فلم يجدوا شيئًا، أخرج (نبيل) مسدسًا وهو يشهره في وجه الرجل وأردف بنفس غضبه:

- أين الحقيبة؟ تحدث وإلا قتلتك.

حدق الرجل في السلاح ليجد الرجلين يوجهان الأسلحة أيضًا فتراجع لخلف متحدثًا بصوته الحاد:

- اهدأوا، أقسم لك بأنني لم أعلم عنها شيئًا، ولكني سأستدعي حرس الآن، انتظروا.

دفعه (نبيل) بيده الأخرى وهو يقول:

- تريد أن تستدعي رجالك لحمايتك، لن تخرج من هنا حتى تخبرني ما حدث.

زفر الرجل واحمر وجهه حتى جثا على ركبتيه واضعًا كفيه على وجهه، ثم أجابه:

- أنا الآن لا أخشى هذا السلاح، أرجوك دعني أتحرى الحقيقة، لو كنت أعلم بما حدث، وأريد الخيانة لجعلت رجالي يقتلونكم بترتيب مسبق، تفهم الأمر يا سيدي واهدأ.

ظل (نبيل) ينظر إليه بغضب ولم يتحدث ثم أشار لرجاله فخفض أيديهما لينهض الرجل صارخًا:

- أمجد، تعال إلى هنا أنت ووجدي.

أتى الرجلان راكضين لينقض عليهما ممسكًا كل واحد منهما بيد من عنقه متحدثًا:

- من الذي فتح هذه الغرفة؟

فلا ينظران بعضهما لبعض ثم تحدَّث أحدهما قائلًا:

- سوف أحكي لك ما حدث بالضبط يا سيدي.

حدق فيه الرجل ثم تركهما وهو يقول:

- هيَّا أخبرني.

بدأ أمجد ينظر إلى أسفل ثم تحدث:

- منذ عدة أشهر أتاني رجل مزارع بعد أن ضل طريقه، وظلَّ كل ليلة ويتحدث معي وقدم لي بعض الهدايا دون سبب واضح ثم...

صمت قليلًا ليصبح فيه (نبيل) قائلًا:

- أكمل أيها الغبي

- لا شيء يا سيدي، وضع لي مخدرًا في مشروب الشاي الخاص بي واستيقظت لأجد باب الغرفة مفتوحًا ولم أجد بداخله الحقيبة، لا أعلم كيف قام بفتحها ولا أحد يملك المفتاح غيرك، لم أستطع إخبارك، ولم أخبر أحدًا طوال هذه الشهور.

أغمض الرجل عينيه غاضبًا، ثم سأله بصوت منخفض:

- من يكون هذا الرجل؟ أخبرني هيَّا يا أمجد صف لي ملامحه أو ملابسه أي شيء.

ظلَّ أمجد ناظرًا إلى أسفل ثم ردَّ:

- لا أعرف من هو وعلى ما يبدو أنه كان مصريًا، أما عن ملامحه فهو مثل أي رجل عاديًا.

أومأ الرجل، ثم أخذ السلاح من يد (نبيل) وقام بقتل (أمجد) لينظر بعدها إلى أعلى وهو يتحدث إليهم:

- اسمعوا، لا أحد يتحدث معي الآن أمهلوني عدة أيام، وسوف أعثر على هذا الرجل.

نظر له (نبيل) وهو يضحك ضحكة قصيرة، ثم اقترب منه معلقًا:

- جيد يا عوني جيد أنت، ولكن أخبرني كيف ستعثر عليه، هل ستفتح المندل أم عندكم طريقة أخرى لتفقد المسروقات؟

انتهى وهو يشير إلى رجاله بقتله، ثم صرخ فيهم:

- يومان فقط، وتأتوني باسم كل مصري دخل هذه البلد هذا العام.

***

قبل عدة أشهر

بعد أن استحوذ على عقل (أمجد) استطاع أن يعلم بمكان الغرفة التي تحتوي على القطع الأثرية، ما كان عليه إلا أنه يضع خطته ليحصل عليها، حتى وضع له المخدر في

مشروب الشاي واطمأن أنه فقد الوعي ثم نهض وذهب إلى الداخل حتى توقف أمام الغرفة مخرجًا من جيبه آلة حادة صغيرة مصممة خصيصًا بديلًا للمفاتيح؛ فهي تشبه المفتاح الواحد ولها بروز معدنية كثيرة، استطاع من خلالها أن يفتح دالفًا إلى الغرفة، ثم أغلق الباب خلفه ليجد أمامه حقيبة تحتوي على كلمة سر لفتحها، لم يضيع وقتًا وقام بحملها، بما أنها الحقيبة الوحيدة داخل غرفة حفظ الأشياء الثمينة، خرج من المنزل المهجور مترقبًا ثم ركض في طرق مختلفة حتى لا يراه أحد وغادر المنطقة بأكملها.

***

جلسة النطق بالأحكام الأخيرة في قضية عمر عابدين

كان (سراج) يترافع بيأس شديد وخصوصًا أن الأدلة جميعها ظهرت فجأة من بصمات المتهم على السلاح الناري المرخص له، واعتراف الرجال الذين نفذوا مهمة جلب السلاح للمحامي بعد أن تم القبض عليهم، كان (صلاح) يجلس وهو يرمق المحامي بغضب ليزيده قلقًا، ومن حين إلى آخر ينظر إلى ابنه خلف السياج بحزن شديد دون أن يلاحظه أحد، لقد تبدلت أحواله تمامًا تلك المرة خصوصًا بعد أن أبلغه (نبيل) بسرقة الآثار التي كان من المفترض أن يساوم بها (ياسر عز الدين) بعد أن علم بما حدث له سابقًا بسبب تلك القضية، قاطع صمته صوت القاضي وهو يقول:

- الحكم بعد المداولة.

عندها نهض مقتربًا من المحامي وهو يسأله بصوت منخفض:

- تعتقد بأن الخرافات التي تحدثت بها الآن ستحسن وضع ابني في القضية.

نظر المحامي بعيدًا فلم يستطع النظر إليه حتى أجابه:

- سيدي، أنا فعلت كل ما بوسعي، ولكن حقًّا عمر سيئ الحظ.

بصق (صلاح) في وجهه قائلًا:

- لولا رجالك الأغبياء لما وصلوا إلى السلاح، سوف أقتلك إذا لم تستطع إنقاذه.

ظلَّ (سراج) يمسح وجهه بكفيه ثم استدار ليبدأ القاضي بالحكم:

- ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب حكمت المحكمة حضوريًا، بإجماع آراء أعضائها بإرسال أوراق عمر صلاح عابدين إلى فضيلة مفتي جمهورية لأخذ رأيه الشرعي في تنفيذ حكم الإعدام وألزمته المصاريف جنائية، رفعت الجلسة.

تجمدت أطراف (سراج) فلم يستطع حتى أن يلملم أوراقه بينما تهم ظلَّ يصرخ قائلًا:

- لم اقتلها، صدقوني أنا لم أقتلها.

لم يستمع إليه أحد حتى أبوه قرر الذهاب سريعًا قبل أن تقتحم صحافة قاعة المحكمة وركب سيارته مشيراً إلى السائق بالذهاب وهو اخله يتوعد لـ (سراج) الذي فشل في تلك القضية، ولكنه لم يفقد الأمل د فهو يستطيع أن يخلص ابنه إذا نفذ تهديداته لـ (ياسر) ووضعه ت ضغط كبير بالطبع

سيفعل أي شيء لإخراجه فهو رجل بوليس وله عرق خاصة، نظر إلى حارسه الخاص قائلًا:

- هل أنت جاهز؟

أومأ الحارس وهو يرد:

- نعم يا سيدي، ولكن لي وجهة نظر.

عقد (صلاح) حاجبيه معلقًا:

- أنت تعلم بأنني لا أحب سماع هذه الجملة.

ثم صمت قليلًا، وهو ينظر أمامه وسأله بصوت هادئ:

- تحدث، ماذا تريد أن تقول.

- لا داعي لقتل الطفل ونكتفي باختطاف ابنة الضابط؛ لأن قتل حفيده سيجعله في تحدٍّ معنا من شدة الحزن.

زفر (صلاح) ثم قال:

- على الرغم من أنني كنت أظن أن قتل حفيده سيجعل تهديدنا له بقتل ابنته أيضًا أكثر جدية، ولكن أنت معك حق، لنجرب ولكن اسمع لا تخبر (سراج) بأي شيء.

- اتفقنا يا سيدي.

نظر له (صلاح) متحدثًا:

- الليلة سوف أنتظر منك مكالمة تؤكد لي بأن ابنة ياسر أسيرة لدينا.

***

جهز (آدم) حقيبته بعد أن أذن له (ياسر) بالإقامة معهم في نفس المنزل لحماية زوجته وابنه لم يكن سعيدًا بهذا بقدر خوفه عندما يلتقيان هو وزوجته مرة أخرى بعد ما ظنت بأنه قُتل، أو أن ابنه لن يركض إليه ويعانقه عندما يعلم بأن أباه عاد إليه، لحظات عصيبة ستأتي جعلت أطرافه شديدة البرودة، كان يضع ملابسه وهو يتبسم ثم تتساقط الدموع من عينيه حتى استمع إلى رنين هاتفه فأمسكه موافقًا على المكالمة وهو يقول:

- مرحبًا يا أبي كيف حالك؟
- مرحبًا يا بني، أرسلت لي أن أهاتفك هل حدث جديد؟
- لا يا أبي كما نحن، ولكني في طريقي لمنزل ياسر كما أخبرتك، وأعتقد بأننا لن نتحدث الفترة القادمة حتى ننهي الأمر لذلك طلبت مها تفتك لأطمئن بأنك بخير وعدني يا أبي أنك تأخذ حذرك دائمًا فلن أتحمل أن يعرف أحد مكانك.

ضحك الشمندري ثم رد:

- جاء اليوم الذي تقلق فيه بشأن أبيك يا آدم، لا تفكر كثيرًا، ولا تنسَ أبدًا بأنني توفيق الشمندري اتفقنا.

- اتفقنا يا أبي.

أنهى المكالمة وهو يكفكف دموعه ثم أغلق الحقيبة مغادرًا المنزل.

***

قبل أن يرحل (ياسر) من مكتبه استمع إلى طرق الباب ليدخل أحد أفراد الشرطة، ويخبره بأن سيدة ما بالخارج تطلب مقابلته

شخصيًّا، قبل أن يرحل (ياسر) من مكتبه استمع إلى طرق الباب ليدخل أحد، أفراد الشرطة، ويخبره بأن سيدة ما بالخارج تطلب مقابلته شصيًّا، أخبره (ياسر) بأنه على موعد هام في منزله ولن يستطيع مقابلة أحد، وإن لزم الأمر يمكنها أن تترك له ما تريد قوله مع مساعد مكتبه، خرج سريعًا متخذًا الممر المؤدي إلى بوابة الخروج ليجد سائقه ينتظره فدلف إلى السيارة وانطلقت، إنه لا يعلم حتى الآن كيف يخبر ابنته بأن زوجها على قيد الحياة ليس فقط بل وسوف يعيش معهما، خصوصًا أنها علمت بما فعله (آدم) ولن تفهم لماذا سيوافق أبوها من الأساس على عودت (آدم) في حياتها، وماذا عن حفيده الذى سيكبر ويرى والده من أخطر رجال العصابات والذي تسبب لجده وأمه في كثير من الأذى، أراح رأسه للوراء ليغط في نوم عميق حتى استيقظ على صوت السائق وهو يخبره بالوصول، خرج من سيارته مترجلًا إلى الداخل وهو يطلب من الحارس إغلاق بوابة الحديقة جيدًا ولا يفتح لأحد إلا لشخص يدعى (آدم) قبل أن يفتح باب المنزل وجد حفيده يلعب في الحديقة فقام بندائه قائلًا:

- يحيى تعالَ وعانق جدك.

ركض إليه الطفل متبسمًا ليجلس (ياسر) على ركبتيه وعانقه بشدة وهو ينهض به متابعًا:

- أخبرني هل لا زلت تريد أن تصبح ضابطًا عندما تكبر.

أومأ الطفل فأردف جده:

- هل تحب رؤية أبيك؟

ظل الطفل يتبسم وهو ينظر حوله ربما لم يفهم جيدًا ما يقوله ياسر، ولكن ابنته استمعت إليه من الشرفة لتركض إليه وهي تسأله بذهول:

- أبي ما الذي تقوله ليحيى؟

صمت والدها وهو يترك الطفل متحدثًا:

- اذهب وأكمل لعب يا يحيى.

بمجرد ما ذهب الطفل كررت (نورين) سؤالها:

- أخبرني يا أبي ما الذي استمعت إليه، لماذا تسأله عن والده؟

نظر (ياسر) إلى أسفل ثم نظر إليها متسائلًا:

- وأسألكِ أيضًا يا نورين هل تحبين رؤية زوجك.

ابتلعت (نورين) ريقها وبدا على ملامحها بأنها أوشكت على البكاء، ثم سألته بصوت منخفض:

- هل آدم لازال حيًّا؟

أومأ ياسر حتى انفجرت هي باكية مرددة:

- كيف يا أبي كيف، وأنا شاهدته يموت أمام عيني!

كان (آدم) يقف خلفها، لقد تغيَّر كثيرًا في غضون سنوات، لقد أصبح نحيفًا وأسود أسفل عينيه وكسا الحزن ملامحه وقام بحلق رأسه لأقل درجة، لم تصدق بأنه (آدم) الذي كان معها منذ ثلاث سنوات فقط بصحة جيدة ومظهر أنيق، ظل ينظر إليها وهي تبكي ثم اقترب منها ببطء حتى أصبح أمامها فاتحًا ذراعيه قائلًا:

- ألم تشتَقي إليَّ بعد.

ألقت (نورين) بجسدها بين ذراعيه وهي منهمرة في البكاء وهو يحاول أن يهدئها هامسًا في أذنها:

- صدقيني أردت إخبارك منذ مدة بعيدة، ولكني كنت مجبرًا على ذلك، سامحيني.

ظلت (نورين) تبكي ولم تتحدث فتابع هو:

- لا يجب أن يرانا يحيى هكذا، هو الذي يلعب هناك صحيح.

تراجعت برأسها وهي تهز رأسها مؤكِّدة سؤاله، ثم قالت:

- آدم ما الذي حدث؟ لم أصدق أنك أمامي؟

تبسم لها وهو يضع كفه على خدها مجيبًا إياها:

- هذا أمرٌ يطول شرحه، دعينا نذهب إلى طفلنا.

صمتت (نورين) قليلًا، ثم نظرت إلى أبيها والذي بادلها النظرات قائلًا:

- آدم طفلك يحتاج لبعض الوقت حتى يتعرف عليك، تعامل معه كما تشاء، ولكن لا تخبره بأنك والده حتى يحين الوقت.

عقد (آدم) حاجبيه قائلًا بغضب:

- ما الذي تقوله؟

أمسكت (نورين) بيده متحدثة:

- أبي لم يقصد شيئًا، ولكنك تعلم جيدًا بأن طفلًا في هذا العمر لن يستوعب عودة أبيه بهذه السرعة فقط.

رمقها مستنكرًا، ثم نظر إلى أسفل محاولًا كتم غضبه ليقول:

- اسمعوني جيدًا، أنا حقًّا لا أعلم ما يدور برأسيكما وما الذي أخبرتما به ابني عني، ولكن احذرا أن توقعا نفسيكما في خطأ معي بحقه، سوف أذهب للاستحمام وأعود، وسوف تتركانني معه بمفردنا ولن أستمع إلى قول بعد قولي.

انتهى وهو يغادر طالبًا من الخادمة أن تريه غرفة الاستحمام وغرفة نومه، ظلت (نورين) تنظر إلى أبيها بحزن ثم تحدثت:

- ماذا سنفعل؟

نظر (ياسر) أمامه وهو يفكر ثم ردَّ:

- دعيه يفعل ما يشاء وأنا أعلم جيدًا بأن القادم سيكون مثل الذي خططنا له وليس هو ما يهمني الآن هو أنك لا تضعفين مرة أخرى لأنه مدان لي بالكثير.

حدقت (نورين) إلى أبيها وهي ترد:

- أبي أنت وعدتني ألا تفعل معه شيئًا، وأنا وعدتك أن لا أسمح لأحد أن يفرقنا مرة أخرى ماذا تقصد؟

أومأ أبوها وتركها دون أن يتحدث.

***

يقف (مالك) أمام المرآة يتحدث مع انعكاسه، ولكن هذه المرة بمحض إرادته ربما هو من استدعى هذا الرجل الذي في الحقيقة مجرد جزء من عقله يحاوره من حينٍ إلى آخر، كان يتحدث معه وهو يقرأ من كتاب أبيه، يكتشف أشياء لم يتوقف عندها من قبل، أصبح لا يعلم من هو هل المحقق الذكي الذي يفسر للشرطة كل شيء أم أنه المحتال أم هو شخص مريض فقط لا يستطيع التحكم في تصرفاته وأفعاله، ظل في كتاب أبيه تقريبًا خمسون صفحة لم يقرأها بعد، ولكنه أوشك على الانتهاء بمساعدة هذا الرجل الذي يظهر في صورته داخل المرآة ويختفي إذا أراد (مالك) ذلك.

- أنت لم تأتِ الحياة عبثًا يا مالك أنت هنا لتحقيق العدالة الحقيقية، وليست العدالة التي تخضع للقوانين وأنا هنا لأساعدك وبمجرد ما تنتهي لن تراني مرة أخرى، اقرأ الآن وسوف أفسر لك ما حدث.

«كنت أعتقد أن مصير الطفل بعد قتل والديه حرقًا، إما ملجأ وسيصبح مجرمًا في النهاية أو سيأخذه أحد من أقاربه، ليالٍ طويلة مرت وأنا معتني به في منزلي وزوجتي لم تشتكِ وجوده بل بالعكس كانت تشعر بأنه ولد لها».

قاطع (مالك) رنين هاتفه ليغلق الكتاب غاضبًا، ثم نظر إلى المرآة ليعود إلى طبيعته، ثم وافق على المكالمة ليجد المتصل يقول:

- مرحبًا يا مالك.

عقدَ حاجبيه وهو يردُّ:

- مَن المتصل؟

- لا يهم، نحن نتتبعك منذ فترة، ونريدك أن تعمل معنا.

- هل أنت معتوه كيف تطلب منِّي ذلك، وأنا لا أعرفك من الأساس، ولا أعرف طبيعة عملك.

ضحك المتصل ثم تحدث:

- لا يهم، ولكننا نعرفك جيدًا، ونعلم بكل أفعالك التي لا يعلمها غيرك.

ظلَّ (مالك) ينظر إلى هاتفه بدهشة هو لا يعلم هل المتصل حقًّا شخص له وجود أم هو شخصية أتت بسبب مرضه، أنهى المكالمة وجلس شاردًا لم يستطع التفكير ثم ظلَّ يفحص هاتفه ليتأكد أنه استقبل بالفعل مكالمة واردة أم لا.

***

بينما كان يجلس (نبيل) غاضبًا في منزله أتاه أحد مساعديه ليبلغه بأن موظف الجوازات قد حضر فأذن له بالدخول ليجد أمامه شابًا اواخر عقده الثالث يرتدى بدلة مهندمة وفى يده حقيبة جلدية مناسبة في الحجم لحفظ الدفاتر الكبيرة والأوراق، تبسم له (نبيل) بمكر وهو يرحب به بشدة ثم أقبل عليه ليصافحه قائلًا:

- مرحبًا بك تفضل لنجلس في مكتبي.

كان الشاب ينظر له بتوتر شديد ربما لخطورة موقفه أو لغرابة هذا المنزل الذي له حرس مسلح كالذين يعملون مع الشخصيات السياسية في لبنان، دلف إلى المكتب خلفه، ثم أغلق (نبيل) الباب عليهما، وجلس طالبًا منه الجلوس أمامه لبدأ حديثه متبسمًا بحزن:

- في الحقيقة يا عزيزي أنا في أمسّ الحاجة للمساعدة، وعندما أخبروني بأنك المسؤول عن رحلات السفر ذهابًا وإيابًا قلت هذا من فضل ربي، وعندما أخبروني بأنك وافقت على مساعدتي كتبت لك الوصل.

انتهى وهو يخرج فاتورة بنكية بمبلغ مئة ألف دولار، ليحدق بها الشاب، ثم مد يده ليأخذها فسحب (نبيل) يده وهو يتابع:

- دعني أرى أولًا ما الذي فعلته لي.

قام الموظف بوضع الحقيبة على المكتب، ثم أخرج منها ملفًا ورقيًّا مكونًا من عشر صفحات معلّقًا:

- فعلت ما بوسعي وجمعت لك أسماء المصرين الذين أتوا إلى هنا تلك الفترة وهم أكثر من خمسمئة شخص، وبعد مراجعة البيانات التي أرسلتها لي بمواصفات هذا الشخص العُمرية أصبحوا مئة شخص فقط.

ثم نظر إليه بجدية وأردف:

- سيدي، هل تستطيع أن تصل إلى هذا الشخص؟ علمًا بأنه من المحتمل أن يكون ليس من بين هؤلاء، مثلًا كان يعيش في لبنان منذ زمن أو أتى من دولة أخرى.

ضحك (نبيل) ضحكاتٍ صاخبةً، ثم نظر إليه بعينين ضيقتين وهو يرد:

- وهل تظن بأنني أدفع هذا المبلغ لمجرد البحث بتلك الطريقة، أرِني أسماءهم.

التقط الأوراق ثم ارتدى نظارته الطبية وظلَّ يقرأ.

كان الشاب يتابع تعابير وجهه والتي تحوَّلت في الصفحة الثانية ليأسٍ شديد ثم في آخر صفحة حدق قليلًا وهو يقول:

- مَن هذا الرجل؟ هو الوحيد الذي سجَّل دخولًا فقط ولم يعود حتى الآن!!

أومأ الشاب، ثم أجابه:

- ليس موضعًا للشك، ربما يعمل هنا أو مقيم مثل الكثيرين.

نظر له (نبيل) قائلًا:

- وهذه مهمتك التالية، أريد استعلامًا دقيقًا عنه وأين يعيش هنا ولماذا أتى؛ لأنه من المفترض أن يكون عاد إذا كانت بطاقة سفره للسياحة مثلما دوَّن، وهذا ما أبحث عنه.

تنحنح الشاب ثم ردَّ:

- وإذا لم أعثر عليه؟

نهض (نبيل) موليًا له ظهره متحدثًا:

- لا، سوف تأتيني بمكانه عن قريب حتى تحصل على مبلغ مثل هذا.

انتهى وهو يقدم له الوصل دون أن ينظر إليه فأخذه الشاب مغادرًا بخطوات واسعة ليتابع (نبيل) بصوت لا يسمعه غيره:

- أنا على يقين بأنه هو من سرقني؛ لأن مغادرته للبلد وهو معه بضائع مثل هذه القطع الأثرية لا بُدَّ أن تكون غير مسجلة رسميًّا.

***

توقفت سيارة أمام منزل (ياسر) ثم خرج منها رجل وهو يسأل الحارس عن أي محل لبيع الطعام قريب من هذه المنطقة ليبلغه الحارس أن جميع المحلات هنا تنهي فترة عملها بعد منتصف الليل، وعليه أن يذهب إلى وسط مدينة الإسكندرية لجلب متطلباته، بمجرد ما انتهى وجد رجلًا آخر أتى من الخلف واضعًا قطعة من القماش المبللة بسائل مخدر وظلَّ يضغط على أنفه حتى سقط فاقدًا وعيه، عندها خرج رجل آخر من السيارة ليصبحوا ثلاثة وهم من أرسلهم (صلاح عابدين) لخطف ابنة (ياسر) بدأوا بإشهار أسلحتهم مقتحمين حديقة المنزل بحرص ليشير لهم قائدهم بالتفرق حتى يتمكنوا من معرفة الغرفة التي تنام بها محاولين بقدر الإمكان عدم إصدار أي صوت حتى يتفادون الدماء فهم قد أخذوا أوامرهم بعدم قتل أحد أو إطلاق الرصاص إلا إذا استدعى الأمر ذلك، عبر الأول من النافذة ليجد بأن تلك الغرفة بها (ياسر) والذي كان

نائمًا فتحرك نحوه بخطوات بطيئة، ثم وضع قطعة القماش على وجهه وظل يضغط ليستيقظ الضابط محاولًا دفعه بعيدًا، ولكنه فشل نتيجة تسرُّب رائحة المخدر إلى جهازه التنفسي مما أدى إلى فقدان الوعي ثم توجه سريعًا إلى الغرفة الثانية والتي كان بها (آدم) فأرتطم حذائه بالباب ليصدر صوتًا عاليًا فتخفَّى حتى تأكد أنه لم يفسد الخطة فترجل سريعًا بعيدًا عن تلك الغرفة ثم تحدث عبر سماعة الأذن قائلًا:

- سيدي، لقد أفقدت الضابط وعيه وهو الآن مغشيٌّ عليه، هل يوجد أحد آخر في المنزل غير الفتاة وابنها؟

ردَّ عليه قائده:

- لا يوجد غيرهما، هيَّا ابحثا عنهما.

انتهى من كلمته وهو ينظر خلفه ليجد (آدم) يضع مسدسه خلف رأسه قائلًا:

- ألقِ بسلاحك ولا تتفوه بكلمة واحدة إذا أردت البقاء على قيد الحياة.

أفلت الرجل سلاحه ليسقط منه أرضًا، ثم رفع يديه إلى أعلى، وقبل أن يتحدث نزع (آدم) الجهاز اللاسلكي من أذنه وهو يتابع:

- دعني أغلقه أولًا حتى نتحدث.

كلما حاول الرجل النظر إليه دفعه (آدم) في ظهره حتى يصبح وجهه تجاه الحائط، ثم سأله:

- مَن الذي أرسلكم؟

ردَّ الرجل:

- لا أعلم، أنا مكلف فقط.
- مكلف بماذا؟

صمت الرجل ولم يجِبه، محاولًا أن يستغل الوقت قليلًا ربما يراه أحد من رجاله، ولكنه لا يعلم من هو (آدم)؛ لذلك أمسك بعنقه، وظلَّ يضغط بقوة وهو يقول:

أجبني قبل ثلاث ثوانٍ وإلا قتلتك.

- مكلَّف بخطف ابنة الضابط.

- مَن معك هنا؟
- اثنان آخران.

كان الرجل يجيبه بصوت متغرغر كأن روحه تفارقه ليقوم (آدم) بضربه بواسطة مقبض المسدس عدة ضربات ليسقط أرضًا ثم ضغط على زر تشغيل الجهاز، وبدأ يستمع إلى الرجلين واللذين كانا قد انتهيا من تخدير (نورين) ومنتظرين إشارة قائدهما، ولكنهما وجدا (آدم) أمامهما ليطلق رصاصة في جبين واحد منهما، ثم وجه سلاحه إلى الآخر

قائلًا:

- اجلس مكانك ويدك خلف رأسك قبل أن أرسلك إلى صديقك.

تراجع الرجل وهو يلقي بسلاحه، ولكنه قفز من النافذة هاربًا ليركض (آدم) نحو (نورين) محاولًا إيقاظها ليخرج ابنه من أسفل الفراش وهو يبكي طالبًا منه أن يترك أمه ولا يقتلها، ظلَّ ينظر إليه متبسمًا ثم عانقه وهو يقول:

- لا تخف أنا أنقذتها من الأشرار، ألم ترَ؟

نظر له الطفل ثم أومأ وهو يرد:

- نعم، ولكن أمي أبلغتني قبل قليل أن أختبئ أسفل الفراش عندما أحست بالغرباء، هل أنت واحد منهم؟

ضحك (آدم) ثم قال:

- لا يا بني أنا هنا لحمايتك أنت وأمك، دعنا نجعلها تستيقظ ثم نستكمل حديثنا.

انتهى وهو يحمل الطفل إلى الخارج حتى لا يرى جثة الرجل على الأرض ثم توجَّه به إلى غرفة (ياسر) ووضعه بجواره قائلًا:

- جدك نائمًا، اجلس بجواره حتى أعود.

قالها وهو يغادر الغرفة ليبدأ في تجهيز المحلول المركَّب الذي سيجعلهم يستيقظون.

***

الفصل الخامس

كان عليك أن تعلم جيدًا أن الحياة لن تمنحك دائما الفرص لتصحيح الأخطاء.

**

هذه هو (توفيق) الشمندري الرجل الذي أفنى عمره هاربًا من الشرطة من أجل قطع الآثار المسروقة يجلس في منزله بعد أن فقد اثنين من أبنائه ونصف أمواله والقِطع الأثرية أيضًا ولا زال هاربا من عدة أحكام قد تصل به إلى الإعدام، كان يجلس معاتبًا نفسه الخبيثة التي أودَتْ به إلى الهاوية، لا يعلم هل يستمر في لعبته وسينجح أم أن أحدًا من أعدائه سيقتله أم ستعرف الشرطة بمكانه، قاطع أفكاره رسالة هاتفية من ابنه (آدم) والذي كان يخاطبه قائلًا:

- **أبي العزيز، أود أن أخبرك بأنني اخترت زوجتي وابني ولن أعود إلى ذلك الطريق أبدًا مهما حدث، لن أجعل من ولدي مجرمًا مثلما فعلت معي، ولن أقبل أن أراه مقتولاً مثلما رأيت عمران ويعقوب، لا أعلم إذا كنت ستدرك كلامي وتتفهم عاطفتي أم أنك لا زلت قاسيًا كما أنت لا تفعل شيئًا إلا سفك الدماء وجني الأموال، اليوم تعرضت زوجتي للخطف من قبل رجال مسلحين، ولولا ستر ربي لربما كانوا أصابوها هي وولدي بسوء. أبي، أنا لا زلت أحبك مهما فعلت، ولكن أرجوك دعني وشأني وأنا أتعهد لك بأنني لن أشي عليك ولو بكلمة لأي شخص مهما حدث، أما نصيحتي لك، فأنت لن تستطيع أن تصل إلى القطع**

مرة أخرى وإذا حاولت سيتم القبض عليك
وستقضي ما تبقَّى لك في السجن، انزع ثوب
الشمندري وعِشْ ما تبقى توفيق فقط، وداعًا.

ظلَّ (توفيق) يقرأ محاوِلًا عدم البكاء، ثم أخذ هاتفه ووضعه في كوب الشاي الساخن لتتبدل ملامحه فجأة إلى شخص غاضب وظلَّ يُردّد:

- لن أفقد كل شيء بعد كل هذا، لن أسمح لأحد أن يجعلني توفيق مرة أخرى مهما كلفني الأمر.

***

استيقظَتْ (نورين) لتجد أباها بجوارها هو وزوجها وطفلهما، كانت ترمقهم بإرهاق شديد حتى استطاعت الحديث متسائلة:

- أبي، ما الذي حدثَ؟

اقترب منها (ياسر) وهو يمسك بيدها ثم ردَّ:

- لا شيء يا ابنتي محاولة لخطفك ولكننا أحبطناها.

نظر إليه (آدم) رافعًا حاجبيه ثم تحدث بدهشة:

- أحبطناها؟! كيف وأنت كنت نائم أيها العجوز؟

حدق فيه (ياسر) لتتبسم (نورين) وتدخلت بصوتها المتعب:

- شكرًا لك يا آدم.

لم يلتفت إليها ثم حمل الطفل وسأله بمزاح:

- أخبرها يا يحيى ماذا كان يفعل جدك وأنا أضرب الأشرار.

أغمض الطفل عينيه وهو يجيب:

- كان هكذا.

عقد (ياسر) حاجبيه وهو ينظر إلى حفيده بتوعُّد ثم تحدث بجدية:

- أتت الشرطة منذ قليل وجاري التحقيق مع المجرم الذي قبض عليه (آدم) لمعرفة المتورطين، لا تقلقي لن يمسك أحد بسوء طالما أنا بجوارك.

ظلَّ (آدم) يضحك ساخرًا ثم سأل الطفل مرة أخرى:

- صف لي جدك وهو نائم.

أغمض الطفل عينيه ليأخذه (آدم) وغادر الغرفة، ظلت (نورين) ضحك أما والدها التفت بحذر وهو يرمقه حتى خرج لتسأله ابنته لماذا ينظر هكذا، فانحنى جسده والتقط الهاتف الذي سقط أرضًا، ثم ردَّ:

سوف أفحص هاتفه ثم أعيده في مكانه دون أن يلاحظ.

***

لم يتوقع (ياسر) هذا الخبر ابدًا فقد أبلغه صديقه الذي يعمل في لبنان بأجهزة الاستخبار أن القطع الأثرية تم سرقتها وعادت إلى مصر مرة أخرى، وبعد المتابعة تم رصد عدة مكالمات بين المشتبه بهم وعلى رأسهم (نبيل) بعد أن أقرَّ في مكالمة هاتفية مع رقم مجهول الهوية أنه فقد القطع الثلاث.

بعد تعرُّضه للسرقة وهو يتحرى للوصول إلى السارق وهم يتتبعونه حتى يتوصلوا إلى أي شيء جديد، كان لا يريد أن يضع الأمل في قلبه مرة أخرى وفي نفس الوقت لا يستطيع تحمُّل فكرة أنه فشل، لا أحد يستطيع سرقة (نبيل) غير (الشمندري)،

وبالطبع (آدم) هو من فعل ذلك لأن السرقة تمت منذ ستة أشهر وفي هذا الوقت كان في لبنان ولم يَعُد إلا بعدها، يريد أن يلقي القبض عليه ولكنه قانونًا حتى الآن لم يترك وراءه أيَّ دليل ولكنه حتمًا سيضعه تحت المراقبة المشددة حتى يعلم أن يخبّئ أباه وأين يخبئان القطع الأثرية.

***

قام (صلاح عابدين) بكسر السيجار بأصابعه وهو يصرخ في حارس الخاص بغضب قائلًا:

- أرسلت رجالًا أم نساء؟ أخبرني.

ظلَّ الشاب ينظر أمامه دون أي حديث فهو غاضب مثله بسبب ما حدث ولم يتوقع وجود رجلٍ آخر في المنزل كما أخبره الناجي الوحيد من تلك العملية حتى رد عليه أخيرًا:

- سوف أتولى تلك المهمة بنفسي معذرة سيدي.

اقترب منه (صلاح) حتى توقف أمامه ثم تكلم بصوت منخفض:

- اسمعني جيدًا، إذا تمَّ قبول الطعن في قضية ابني، ونحن لا نملك وسيلة ضغط قوية سوف ينفذ حكم الإعدام، وإذا حدث ذلك سوف أقتلك أنت وسراج.

أومأ الآخر حتى أردف (صلاح) بصوت عالٍ:

- اغرب عن وجهي.

انصرف الحارس ليتحرك الرجل نحو النافذة المطلة على الحديقة وهو يفكر في حلٍّ بديل إذا لم يستطع خطف ابنة (ياسر) ربما سيضطر المغادرة البلد هو وزوجته حتى لا تنقلب الأوضاع ضده ثم تذكر (نبيل) الرجل الغبي الذي فقد القطع

الأثرية والتي كانت الحل الأمثل المساومة هذا الضابط فتوجه نحو مكتبه ممسكًا بالهاتف المحمول ليطلبه حتى وافق الآخر على المكالمة متحدثًا:

- قبل أي شيء أنا عائد إلى مصر يا سيد صلاح لأتحدث معك وجهًا إلى وجه.

ردَّ عليه (صلاح) بحزم وهو يقول:

- وماذا ا أفعل بوجهك أيها الرجل أنا كنت أريد القطع فقط.
- وأنا علمت بمكانها وعلمت من الذي فعل ذلك، إنه الآن موجود داخل البلد.
- أنت مجنون أم هي أعراض الشيخوخة يا نبيل؟ مَن الذي يسرق قطعًا مثل تلك ويعود بها إلى مصر ونحن ندفع آلاف الدولارات حتى نقوم بتهربيها إلى الخارج!

صمت (نبيل) قليلًا ثم ردَّ:

- صدقني هذا ما حدث، سألت بداخلي نفس ما تقوله، ولكن كل المصادر أكدت أن القطع الأثرية موجودة داخل مصر مع هذا السارق.
- من يكون هذا؟
- اعذرني، ولكن إذا أخبرتك سوف ترسل رجالك لتبحث عنه، وعندها لن تعود بحاجة لي دعني أدبر أمري وأعود وعندها سنتفق.

أنهى (نبيل) المكالمة ليترك (صلاح) حائرًا هل يترك خطته كما هي بشأن خطف الفتاة أم يبلغ حارسه بوقف تنفيذ المهمة حتى يعود (نبيل).

***

لقد ازدادت حالة (مالك) سوءًا يومًا بعد يوم لم يعد كما كان وكأنه تحول لشخص آخر هو لا يعرفه، بل ربما هو نفسه الشخص الذي كان يظهر له في المرآة، لم يعد يصدق ما يحدث حوله، لم يعد يعلم أي شيء حقيقيا وأي زائفًا غير (عيسى) الرجل الصادق الذي قدَّم له أمواله بدون أي مقابل والذي يحرص دائمًا على تعويض ذلك الشاب عما فقده من مقربين، ولكن كيف يخبره (مالك) بأن المرض قد تمكن منه وأنه لم يعد يقوى على الحديث بعد أن تم قراءة الأرشيف كاملًا واعترافات والده أنه عَلِمَ بكل شيء لم يكن يتوقعه ولم يتبقَّ له إلا القليل من الوقت ليتم ما بدأه.

ترك غرفته مغادرًا منزله ليتوقف أمام منزل (عيسى)، وقبل أن يطرق الباب انصرف بسرعة مغيرًا قراره في آخر لحظة حتى وصل إلى سيارته ليركبها وانطلق، لم يرَ أمامه الطريق ولم يستمع إلى أي صوت من حوله غير الصراخ، صراخ من جميع الاتجاهات ورائحة الحريق تفتك بأنسجة أنفه، ظل يقود سيارته بسرعة حتى توقف أمام إحدى البنايات مغادرًا سيارته وهو يتأمل العقار القديم، هذا المكان بالنسبة له يمثل الكثير لا يهدأ إلى هنا ويعتبر سره الدفين الذي لم يعلم أحد به حتى الآن، اقترب من الباب وهو يدفعه ليفتح له فلم يرَ غير الظلام، ولكنه لا يحتاج إلى ضوء ليكمل طريقه فقدماه تعلمان إلى أين هما ذاهبتان، أخذ يصعد الدرج وهو يبكي بصوت عالٍ، كان يعلم جيدًا أن لا أحد هنا يستمع إليه لأن هذا العقار مهجور منذ سنوات طويلة، تابع صعوده حتى توقف في الطابق الثالث وظل يطرق الباب برفق.

***

انتهى (ياسر) من فحص هاتف (آدم) بمنتهى الدقة، قام بنقل بعض أرقام الجوال الموجودة بداخله وتصوير بعض الرسائل النصية بعد قراءتها، رغم أنه علم بندمه الشديد، وأنه قرر التوبة والابتعاد عن أبيه، ولكنه علم أيضًا أن والده على قيد الحياة وأنه يعلم بمكانه، الأمر يحتاج إلى تدخل النيابة لرصد موقع (توفيق) وإلقاء القبض عليه، انتهى وهو يضع الهاتف على الأرض في مكان سقوطه، ثم ترك الغرفة متوجهًا إلى الخارج ليجد (نورين) تسأله من الخلف:

- أبي ما الذي وجدته على هاتف آدم؟

التفت إليها وهو يتأمل ملامحها، ثم اقترب منها مجيبًا إياها:

- وهل ما وجدته سيغير شيئا؟

أومأت ابنته وهي ترد:

- نعم يا أبي.

عقد (ياسر) حاجبيه ثم سألها:

- إننا تعاهدنا وحسمنا الأمر منذ عودتك حتى وأن قرر آدم التوبة.
- لا يا أبي، نحن اتفقنا، ونحن نظن أن (آدم) قتل، ولكن اختلف الأمر كثيرًا وأصبح بيننا، غير أنه والد ابني وهذه الحقيقة لا أحد يستطيع إنكارها.

تبسم لها والدها مندهشًا وهو يعلق:

- وجود آدم هو الخطر الأكبر على حياة ابنك يا نورين، بالإضافة إلى أنني لن أسمح لكِ بالذهاب معه مرة أخرى، اتفقنا؟

ثم وضع كفه على خد ابنته وهو يتابع:

- لم أجد شيئًا يدينه، ولكن زوجك له ماضٍ يطارده ولن ينتهي أبدًا إلا بموته هو ومن معه، فكري جيدًا بعقلك وليس بقلبك.

انتهى وهو يغادر المكان حتى أغمضت نورين عينيها وهي تجلس في مكانها دون أي ردة فعل، أما (ياسر) خرج إلى حديقة منزله ليرى حفيده وهو جالس جوار (آدم) يتحدثان بشغف شديد، كان يعلم بذكاء ذلك الشاب وأنه لن يخبر الطفل بأنه والده حتى يرى الطفل فيه الأب، وعندما لا يستطيع الاستغناء عنه سيبدأ في مطالبة حقوقه تنهد (ياسر) وهو يتحدث بصوت منخفض قائلًا:

- حياتك يا آدم ثمنُها بالنسبة لى رقبة أبيك والقطع الأثرية ها تستطيع تقديمهم لى لأصفح عنك؟ بالطبع لا، وهذا لا يعلمه أحد غيري، إن وجهك لا زال يذكّرني بالقضية السوداء.

قاطع حديثه رنين الهاتف ليجد المتصل مساعده بمديرية الأمن، وافق على المكالمة حتى استمع إليه وهو يقول:

- سيدي، تتذكر السيدة التي أتت إلى مكتبك منذ يومين؟

- نعم ما قصتها؟

- إنها تحمل معلومات هامة جدًّا يا سيدي، إنها أم الفتاة التي قتلها عمر عابدين وتتحدث في أمور شديدة الخطورة، هل يمكنك المجيء؟

- نعم، هل هي معك؟

- نعم يا سيدي، إنها أنت اليوم وتصر على مقابلتك.

- نصف ساعة وستجدني عندك.

أنهى المكالمة وهو يترجل إلى الخارج بخطوات سريعة ليرمقه (آدم) دون أن يلاحظه، وبمجرد ما ركب سيارته نهض تاركًا ابنه وهو يبحث عن هاتفه بلهفة متحسسًا جيبه فلم يجده، تحرك متوجهًا إلى الداخل، وبمجرد ما دلف إلى المنزل الداخلي وجد (نورين) تمد يدها إليه بهاتفه وهي تقول:

- رأيتك عبر النافذة وأنت تبحث عنه، وأنا وجدته في غرفتي على الأرض.

نظر إليها، ثم التقط الهاتف ولم يتحدث، واضعًا إياه في جيبه متابع هي:

- ماذا تريد من أبي؟

رمقها مندهشًا وهو يرد:

- نورين ما الذي تقصدينه بسؤالك هذا؟

- سؤالي واضح، هل تريد أذيته مرة أخرى؟

نظر (آدم) إلى أسفل، ثم عاود النظر إليه وهو يتحدث بأسف:

- نورين نحن بحاجة إلى الحديث الطويل، يوجد العديد من الأمور لتي يطول شرحها، ولكن يجب أن

تعلمي جيدًا أنني لا أريد الآن غيرك انت وابني، أما والدك فلماذا أفكر في أذيته ما لم يؤذني؟!

- ابي لا يريد ذلك، ولكنه خائف علينا ولا يريد أن يشاهدني أو ابني نُقتل أمامه.

- أُقسِم لكِ لا يستطيع أحدٌ أن يمسسكما بسوء وأنا على قيد الحياة، دعيني أنهي الأمر أولًا ثم نتحدث.

- أي أمر؟

- كل شيء يهدد حياتنا.

نظرت له (نورين) بيأس فتبسم لها بحزن وهو يمسك يدها ويقبّلها ولكنه لم يشعر تجاهها بالحب الذي كان يشعر به سابقًا، لقد تغيرت كثيرًا وأصبحت أكثر ذبولًا، لم يعد يرى في عينيها البراءة التي كانت تمتلكها سابقًا ربما وضعت نفسها في موقف جعله يأخذ الحذر منها رغم أنه لم يفعل ذلك قديمًا.

***

توقف (نبيل) أمام بوابة مطار القاهرة الدولي منتظرًا سيارته بعد أن أبلغ رجاله بعودته، في الوقت نفسه التي رصدت فيه الأجهزة الأمنية تلك العودة لتبدأ بتتبعه بواسطة مخبرين سرين لأن (ياسر) قد قدَّم فيه بلاغَ رصدٍ لكونه من المتورطين في قضية الآثار، توقفت السيارة أمامه ليركبها ثم انطلقت به وهو يتأمل الطريق حائرًا؛ هل يذهب إلى منزله أولًا أم يتخذ أحد الفنادق حتى ينتهي من عمله الذي أتى من أجله، إذا توقع هذا الرجل أن الشرطة هي من كانت تنتظر عودته فهو على خطأ؛ لأن (آدم) أيضًا ينتظره بفارغ الصبر ليأخذ بثأر

أخيه، ومن ثم يردّ له كل ما فعله معه خارج البلد، إنه استطاع أن يحصل على كل ثروته مقابل أن يتركه بل إنه ينتظر أن يصل إلى والده (توفيق) لكي يحصل على ما تبقَّى من ثرواتهم؛ لأنه يعلم جيدًا أنهم الآن في ضعفٍ شديد، وليس لديهم رجل واحد لحمايتهم أو أي أحد يعمل معهم، هم فقط متفرقون ومختبئون من وجهة نظره مثل الفئران، صحيح أن رجاله يرصدون جميع تحركات (آدم) إلا أنه حتى الآن لم يقم بزيارة والده استمع (نبيل) إلى رنين هاتفه ليجد المتصل صلاح عابدين فوافق على المكالمة مرحِّبًا به ليرد عليه الآخر وهو يسأله:

- هل وصلت إلى مصر؟

نعم، ولكني أحتاج لقسط من الراحة، وبعد يومين سنلتقي في أي مكان تريده.

انفعل (صلاح) غاضبًا وهو يرد:

- يوم واحد فقط وسوف أرسل لك حارسي الخاص ليحضرك ليأتي بك عندي.
- اتفقنا يا سيد صلاح، ولكن لماذا ترسل لي شخصًا من عندك؟ أنا أستطيع الوصول إلى أي مكان.

-لا سوف نلتقى في مكان أنت لا تعلم له سبيلًا.

انتهى وهو ينهى المكالمة ليتنهد (نبيل) وهو يسأل نفسه ما الذي ر ينوي عليه هذا الرجل، إنه غامض إلى أبعد حد، ولكنه في أزمة أيضًا ويحتاج إليه وعلى كلٍّ فإنه سيأخذ حذرَه، ولن يذهب بمفرده أبدا إلى أي مكان.

***

وصل (ياسر) إلى مكتبه وهو ينهي مكالمة كان قد يجريها وهو في الطريق ليدخل دون أن يطرق الباب ليجد امرأة تبدو أنها تخطت الخمسين من عمرها ترتدي ملابس سوداء ووجهها شاحب يكسوه الحزن، ظل ينظر إليها دون أن تلاحظ حتى جلس على كرسيه ليجدها تهُمّ بالحديث وقد بدا عليها التوتر الشديد محاوِلة أن تستجمع حديثها لتقول:

- أخبروني بأنك تسعى دائما للحق، لذلك لم أتردد قبل أن أزورك.

أشار لها برأسه أن تتابع دون أن يتحدث حتى أردفت:

- أنا والدة سارة الفتاة التي كانت متزوجة من عمر عابدين، وقام بقتلها.

اعتدل (ياسر) ثم أجابها:

- نعم، شاهدتك في المحكمة تذكرت الآن، تفضلي، ماذا تريدين.

أجهشت السيدة في البكاء لتتابع حديثها:

- منذ وفاة ابنتي وأنا لا أستطيع النوم، ليس حزنًا فقط عليها، ولكن من كثرة التهديدات.

ردَّ عليها (ياسر) بدهشة وهو يعلِّق:

- تهديدات؟!

- نعم يهاتفني كل ليلة شخص ما لا أعرفه يهنئني بقتل ابنتي ويتوعد لي بأن يومي قد أقترب.

ثم توقفَتْ عن الحديث وهي تنظر حولها وتابعت بصوت منخفض:

- أعتقد بأن من قتل ابنتي ليس هذا الشاب الذي ألقيتم القبض عليه.

نظر لها (ياسر) مستنكرًا ثم سألها:

- ما الذي تتحدثين بهّ نحن ألقينا القبض عليه بعد ثبوت الأدلة ورفع البصمات.

- نعم، لأنه كان متزوجًا منها حقًّا، وأنا كنت أعلم ولكنه ليس القاتل.

عقد (ياسر) كفيه مستندًا عليهم برأسه وهو يرد بهدوء:

- وكيف علمتِ بذلك؟ هل تعملين في الشرطة!

- لا، لست أعمل معكم، ولكن لدي بعض المكالمات المسجلة للقاتل الحقيقي والذي آخر تهديداته لي إذا أخبرت الشرطة سوف يعجِّل بموتي.

انتهت وهي تخرج هاتفها المحمول من حقيبتها، ثم ظلت تتفحصه حتى وضعته على المكتب ليستمع (ياسر) إلى مكالمة مسجلة بينها وبين شخص آخر يستعمل تقنية حديثة لتغير الصوت يخبرها بأن قتل ابنتها هو البداية فقط لما هو قادم وأنها لم تنعم بحياتها أبدًا منذ تلك اللحظة.

التقط (ياسر) الهاتف وهو يقرِّبه من أذنه والدهشة تزداد على وجهه، ثم قال بصوت منخفض:

- إنه نفس الصوت الذي هاتفني يوم مقتل شريف.

قاطعته السيدة وهي ترد بسرعة:

- أنا أخبرت الضابط شريف بما حدث، وفي نفس اليوم اتصل بي هذا الشخص، وأخبرني بأنه قد قتله

وسوف يمنحني فرصة أخرى إذا أخبرت أحدًا سوف يقتلني أنا تلك المرة.

- ما الذي يحدث؟

قالها (ياسر) وهو ينهض متابعًا:

- انتظريني هنا.

خرج من مكتبه على عجالة وهو يطلب مساعديه من رجال التفتيش في أمرٍ هام.

***

<u>قبل ثلاثين عامًا منزل المهندس (علاء عبد الستار)</u>

استيقظت (ماجدة) على صوت بكاء ابنها الرضيع كعادتها كل ليلة لتقوم بإرضاعه، ولكنها أحست بصوت خطوات خارج الغرفة بطريقة غريبة، أيقظت زوجها هامسة إليه بفزع:

- علاء، يوجد أحد بالخارج.

اعتدل الزوج وهو يستمع:

- لا أسمع شيئًا، هل أنت متأكدة؟

أومأت برعب شديد، فنهض (علاء) متوجها إلى خارج الغرفة وهو ينادي (زهرة) الخادمة لديهم في المنزل ولكنها لم تستجِب له، أحس بخطوات داخل غرفة الطهي فتوجَّه مسرعًا ليجد ماسًا كهربيًّا تصحبه النيران مما أدى إلى سقوطه في الحال إثر الدخان الذي نشأ نتيجة الحريق الذي نشبَ سريعًا بطريقة غير طبيعية لتصرخ زوجته بعد أن نهضت بطفلها متوجهة به إلى

الشرفة، ثم وضعته أسفل الطاولة وأغلقت الباب عليه بإحكام، ثم خرجت إلى زوجها لتجد الحريق مندلعًا في كل أجزاء المنزل، أمسكت بغطاء كبير وظلت تحاول إخمادها، ولكن الانفجار تكرر مرة أخرى لتسقط مغشية عليها جوار زوجها والذي كان يان بصوت منخفض محاولًا النهوض، ولكن النيران قد سبقته ووصلت إليه حتى تعرَّض لحالة اختناق وفارق الحياة قبل أن تلتهمه النار هو وزوجته، حاولوا الجيران كسر الباب ولكنهم فشلوا حتى وصلت سيارات الإطفاء والأمن المدني وبدأوا باقتحام المنزل، ولكنهم وجدوا الرجل وزوجته قد فارق الحياة ولم يتبقَّ غير الرضيع الذي نجا بمعجزة لأن الحريق لم يصل إليه، وصلت رجال الشرطة وفرق البحث الجنائي وجهاز الأمن المختص برئاسة العقيد (إدريس الحديدي) المفتش الشهير والذي لم يهتم حينها لشيء إلا لهذا الطفل الذي أتى إلى الحياة، ولم يجد أبويه قبل أن براهما لم تكن القضية مدونة جنائيًّا، ولم تشكك الشرطة في ذلك ولكن (إدريس) توقف أمام عدة تساؤلات بعد أخذ أقوال الشهود فمثلاً: أين كانت المدعوة زهرة أثناء الحادث فهم لم يجدوها في هذا اليوم رغم أنها أقرت بأنها كانت نائمة داخل غرفتها، ولكنها قامت بالهرب خوفًا على حياتها؛ لأنها كانت قريبة من باب المنزل، أما حارس العقار (حماد) أكد لهم بأنه كان أول من قام بالاتصال برجال الإطفاء بعد ما استمع إلى الانفجار الأول، ولكن الشهود أكدوا بأنه لم يكن متواجدًا بغرفته من الأساس قبل الحادث بساعات؛ لأن أحد السكان

طرق باب غرفته ليطلب منه شراء بعض المتطلبات، ولكنه لم يجده، عكس كلامه والذي أكد فيه بتواجده في تلك الفترة، على الرغم من أن هذا الحادث لم يتصعد، ويصبح قضية رأي عام؛ مما جعل القضية تُغلق مقيدة (إهمال قاطني الشقة في تعاملهم مع الغاز) إلا أن (إدريس) كان يشعر بشيء ما اتجاه حارس العقار، والخادمة بسبب ارتباكهم الشديد ومخالفة أقوالهم، يقول المحقق في مذكراته إنه استدعى صديقه (ياسر عز الدين)، والذي كان وقتها معاونًا لأحد أقسام الشرطة التابعة لتلك المنطقة، وطلب منه مساعدته في حل لغز هذا الحادث إلا أن (ياسر) لم يهتم بالتحريات حتى ترك (حماد) حارس العقار و (زهرة) أيضًا اختفت تمامًا في نفس الفترة ولم يسع أحد لاكتشاف الحقيقة لسنوات، حتى بدأ (إدريس) بمواصلة تحرياته بشكل خاص ومراجعة أقوال الشهود حتى تبين له بأن حارس العقار كان دائمًا يتربص لأبناء سكان هذا العقار ويقوم بأذيتهم وتهديدهم بعدم إبلاغ آبائهم بما حدثَ، ولكنه بعد أن ترك العقار تحدثت الأبناء بكل شيء، فقام بضبطه وإحضاره، ولكن المفاجأة أنه كان قد غادر البلد بأكملها فظلت القضية مغلقة حتى تلك اللحظة.

***

توجه (آدم) إلى بوابة الحديقة بعد أن لاحظ رجلًا غريبًا يتحدث مع حارس المنزل بطريقة غريبة ليسأله بحزم:

- مَن أنت؟ وماذا تريد؟

نظر له الرجل بثقة وهو يرد:

- أنا مالك صديق للعميد ياسر عز الدين، أين هو؟

رمقه (آدم) من أعلى إلى أسفل، ثم أجابه:

- ذهب للعمل يمكنك مهاتفته.

أومأ (مالك) متحدثًا:

- لقد فعلت ذلك بالطبع، ولكن هاتفه خارج نطاق الخدمة، مَن أنت؟ لم يحدثني عنك سيادة العميد من قبل.

تنهد (آدم) ولم يجِبه بسبب غرابته وتدخله فيما لا يعنيه ليتحدث حارس المنزل وهو يضحك موجهًا حديثه إلى (مالك):

- هذا هو السيد آدم زوج ابنة ياسر بك.

عقد (مالك) حاجبيه معلقًا:

- لم يخبرني بهذا الأمر.

انفعل (آدم) متحدثًا:

- ومن أنت حتى يخبرك بتلك الأمور العائلية؟!

ظلَّ (مالك) ينظر إليه متبسمًا، ثم تحدَّث وهو متوجه نحو سيارته:

- سوف تتعرف عليَّ بشكل أفضل في الأيام المقبلة يا ابن توفيق.

انتهى وهو يركب سيارته، وانطلق بينما (آدم) ظلَّ واقفًا أمامه وهو يشعر بالصدمة مما قال، يبدو أن ياسر أخبر هذا الشخص بكل شيء وهذا ما بدا عليه من حديثه

ونظراته له بينما هو لم يذكر اسمه في أي مجلس من قبل، لأول مرة كان (آدم) يشعر بعدم الأمان في هذا المنزل وأنه مجرد شخص للحماية فقط قد استغله ياسر، وبمجرد ما ينتهي عمله ربما سيوجه إليه بعض التهم ويتم القبض عليه، قبل أن يعود إلى الداخل نظر إلى حارس المنزل وتحدث إليه غاضبًا:

- أنت رجل مجنون كيف تخبر الغرباء عن اسمي، ونحن نوهنا كثيرًا بسرية الأمر.

اعتذر منه الحارس وأخبره أن (مالك) دائمًا يلتقي بياسر وهو مثل ابنه تمامًا فلم يعجب (آدم) هذا الحديث وذهب إلى الداخل حيث تجلس (نورين) ليتوقف أمامها وهو يسألها بغضب:

- هل لوالدك شخص يدعى (مالك)؟

عقدت (نورين) حاجبيها وهي تفكر، ثم أجابت:

- نعم أعتقد بأنه يعمل مع والدي، ولكنه ليس ضابطًا.

هز رأسه يمينًا ويسارًا وهو يرد:

- لا، إنه ليس كذلك، هذا الرجل أتى اليوم وهو يعلم جيدًا بأن ياسر غير متواجد بالمنزل.

نهضت (نورين) وهي تسأله:

- ما الذي حدث؟ هل هو هنا؟
- بالطبع لا، لقد غادر بمجرد ما شاهدني، وما يغضبني حقًّا بأن والدك قص عليه حكايتي كاملة.

جلست (نورين) مرة أخرى، وظلت تتصفح هاتفها المحمول دون أن ترد وتركته واقفًا كما هو ليحدق إليها متابعًا:

- إلى هذه الدرجة أصبحت لا أعني لكِ شيئًا.

تبسم بحزن، ثم انصرف من أمامها ودلف إلى غرفته مخرجًا هاتفه المحمول ليطلب رقمًا ما وبدأ يتحدث إليه:

- أنا آدم كنت صديقًا لسليمان هل تتذكرني؟
- نعم مرحبًا بك يا آدم، أخبرني كيف حالك؟
- أريد مقابلتك في أسرع وقت.
- سوف أرسل لك العنوان برجاء حذفه بعد أن تتعرف عليه.

أنهى (آدم) المكالمة وهو يتحدث بداخله:

- يبدو أنني كنت مخطئًا عندما وافقت على مطلب (ياسر) أن ابنته الآن تتعامل معي كأني رجل غريب، وليس بيننا طفل، وهذا سيجعلني أعجل بالنهاية التي تليق بالضابط وابنته الذين نسوا من هو آدم ومن الشمندري.

***

توقفت السيارة أمام أحد الفنادق بمحافظة القاهرة ليترجل إليها (نبيل) ومعه اثنان من رجاله، ولكن السائق أبلغه أن (صلاح عابدين) يريد مقابلته بمفرده، وبعد الجدال المستمر والمتبادل بينهما، عاد السائق لصاحب الأمر وهاتفه ليبلغه بإصرار الزائر على الحضور

برفقة حارسيه فوافق (صلاح) تحركت بهم السيارة متخذة الطريق الصحراوي سارق المتجه إلى مدينة الإسكندرية ومنه قطعت طريقًا آخر به يافطة مدوَّن عليها (مزارع (عابدين كان الطريق خاليًا تمامًا وليس به شيء غير الأشجار الكثيفة على جانبيه، وقد أوشكت الشمس على الغروب؛ مما جعل (نبيل) يشعر بالخوف رغم الرجلين المسلحين اللذين يرافقانه هذه الرحلة، توقفت بهم السيارة أمام أحد القصور الضخمة ليتحدث السائق عبر هاتفه ويبلغ الحرس بوصولهم ليفتحوا لهم البوابة الكبيرة لتبدأ السيارة بالدخول إلى الحديقة ليرى (نبيل) حوله مكان لم يكن يتخيل بأنه موجود من الأساس، إنه يكبر عن قصره بأكثر من ثلاثة أضعاف ولا تستطيع العين المجردة أن ترى آخره، خرج من السيارة وهو يتأمل هذا الصرح العظيم ثم خرج من بعده الرجلان وتوسطهما قائلًا بصوت منخفض:

- مهما حدث لا تتركاني بمفردي.

انتهى وهو راسم على شفتيه ابتسامة كاذبة ليجد (صلاح عابدين) جالسًا في استراحته واضعًا قدم على الأخرى مشيرًا له بأن يأتي بطريقة لا تليق به ربما لا يعلم هذا الرجل أن (نبيل) كان من أكبر رجال الأعمال في السابق قبل أن يدخل في حرب مع (الشمندري) ورجاله في الماضي اقترب (نبيل) ليجلس وهو يشير إلى رجاله بالوقوف بجواره ليسأله (صلاح) قبل أن يرحب به:

- هل أنت خائف من شيء؟

بدت الدهشة على الآخر حتى ردَّ بثقة مصطنعة:

- لا، لماذا تسألني هذا السؤال؟

أخذ (صلاح) نفسًا عميقًا من سيجارته ثم ردَّ:

- هؤلاء رجالك يترقبون حولهم وكأنهم أخذون منك تعليمات الان مشددة.
- لا إنهم اعتادوا على ذلك، ولكن بالطبع غير مقصود في هذا المكان تحديدًا.
- إذًا يمكنهم الذهاب بعيدًا لنتحدث.

قالها ثم أردف إليهم قائلًا:

- تفضلوا مع رجالي واتركونا بمفردنا.

لم يتحركا حتى أذِنَ لهم (نبيل) وهو ينظر إليهم بحرص شديد ثم نظر إلى (صلاح) متحدثًا:

- في الحقيقة أنا أقدر ما تمر به وأنا بحاجة إلى أموال البضاعة المفقودة أريد فقط أن تمهلني بعض الوقت.

رمقه (صلاح) بغضب ثم ردَّ:

- لا وقت لدي يا نبيل حكم الإعدام صدر وخلال أيام سوف يُنفذ كما أخبرتك، لن أتحدث كثيرًا وسوف أقدم لك عرضًا.

أومأ (نبيل) ليكمل الرجل:

- أنت قلت بأنك تعلم بمكان السارق الذي أخذ بضاعتك، وأنت لا تريد أن تخبرني من يكون، وأنا قبلت أن أشتري منك القطع الأثرية الآن.

عقد (نبيل) حاجبيه وهو يسأله:

- كيف وأنا لا أملكها؟!

اقترب منه (صلاح) وهمس إليه:

- أدفع لك ثمنها مقابل أن تدلني على مكان الشخص المستحوذ عليها.

حدق فيه (نبيل) وقبل أن يرد تابع الرجل:

- أنا أستطيع أن أستردها من أي شخص مهما كان، ولكن أنت ستظل هنا ولن تغادر هذا المكان حتى أتأكد بأنك صادق.

نظر له (نبيل) مستنكرًا، ثم ردَّ:

- ماذا تقول، أتريد أن تأخذني أسيرًا هل أنت تعي لما تقول؟

تراجع (صلاح) معتدلًا وهو يرد:

- أعوذ بالله من قال ذلك، أنت هنا صديق وفي مكانك وأنا مجرد ضيف حتى أسترد الآثار.

نهض (نبيل) غاضبًا وهو يقول:

- لا أنا لست موافقًا.

نظر له (صلاح) بكبر ثم أشار له ليجلس وهو يقول:

- لا تأخذ الأمور هكذا، وإذا كنت أخطأت النظر في شخصك وأنك لست رجلًا ضعيفًا كما أرى أمامي، فلماذا لم تأتِ ببضاعتك، وطلبت مني أن أنتظرك لأيام، هل تخشى ذلك اللص؟

نظر (نبيل) أمامه وهو يتحدث دون أن يجلس:

- لم أقل ذلك، ولكني لازلت لم أصل إليه أنا فقط معي اسمه كاملًا وخصصت فريقًا من رجالي للبحث عنه، وبمجرد ما أصل إليه سوف أقتله.

أطفأ الرجل سيجاره ثم نهض وهو يرد:

- حسنًا، أمامك يومان فقط إما أن تأتيني بالقطع وإما أن تهرب الخارج من حيث أتيت لأنني....

قاطعه (نبيل) بصوت عالٍ قائلًا:

- لن أسمح لك أن تتحدث معي بهذه الطريقة وإذا كنت تظن بأن موافقتي على مقابلتك هنا ضعف منى فأنت مخطئ؛ لأنني شخص عملي لا أريد غير المصلحة، أفهمت؟

تبسم له (صلاح) وهو يربت على كتفه، ثم صاح في رجاله:

- أروه الطريق.

انتهى ذاهبًا بخطوات سريعة وظلَّ (نبيل) في مكانه منتظرًا عودة رجاله للذهاب معهم.

***

اجتمع (ياسر عز الدين) برجاله بعد أن طلب من والدة القتيلة داود الذهاب لمنزلها برفقة اثنين من الجنود لحمايتها، لقد تغيرت القضية شكلًا وموضوعًا داخل عقله، ما مصلحة (صلاح عابدين) في تهديد هذه المرأة! هل يود أن يشتت أفكار رجال المباحث، أم أنه يقوم بالتلاعب بطريقة أخرى لينفي التهمة عن ولده، ظل

يطرح بعض التساؤلات عليهم حتى تحدَّث أحد الضباط والذي كلَّفه الجهاز بتولي القضية بعد مقتل الضابط (شريف):

- لقد رصدنا تحركات (صلاح عابدين) في الفترة الأخيرة، وبعض مكالماته الهاتفية أيضًا، ولم نجد لتلك السيدة أي وجود أو علاقة بينهما، ولكن...

قاطعه (ياسر) قائلًا:

- لا تعتمد اعتمادًا كليًّا على مكالماته؛ فمن المؤكد أنه يستخدم مواقف أخرى غير مسجَّلة حتى لا نستطيع رصده، خصوصًا أنه يعلم بأننا على يقين بتورطه في مقتل (شريف)؛ لذلك سيحاول بكل الطرق إبعاد نفسه عن أي شيء في هذه الفترة.
- عذرًا سيدي، ولكنه يتصرف عكس ذلك تمامًا كأنه لا علاقة له بقتل الضابط، ولكن لدي سؤال لماذا لم يتم القبض عليه بتهمة التحريض على خطف ابنة سيادتك، وخصوصًا أن الرجل قد اعترف.

لا يمكن أن نتصرف هكذا، وتلك التهمة سيخلصه منها محاميه، لكن التحريض على قتل ضابط هي التي ستجعله بين أيدينا ونحن ننتظر رد المعمل الجنائي والتحاليل حتى نصل إلى الفاعل نفسه، أخبرني كيف حال زوجة (شريف) الآن؟

- لا زالت بالمشفى، ولكنها استيقظت يمكننا أخذ أقوالها فالنيابة تنتظر الرد.
- لا داعي، سوف أذهب لها بنفسي، وبعدها أجعل الأمور تسير بشكل رسمي.

- كما تشاء سيادتك.

تحدث ضابط آخر موجهًا سؤاله إلى (ياسر):

- لا أرى أنك بخير في أي شيء تفكر.

صمت (ياسر) للحظات، ثم أجابه:

- أدعو الله أن يخيب ظني.

انتهى مغادرًا قاعة الاجتماعات ذاهبًا إلى مكتبه.

***

حاول (إدريس) أن يصل إلى أي شخص من عائلة ضحايا الحريق غير شقيق المهندس الذي رفض استلام الطفل بحجة أنه كثير السفر بسبب ظروف عمله، وبهذا يكن مصيره الملجأ وكان أمرًا مرفوضًا وخصوصًا أن زوجته تعلقت به كثيرًا عندما جلبه معه إلى منزلهما، ولأنها كانت مريضة قلب ولم تستطع الإنجاب بدأ هو بإجراءات التبني بطريقة غير شرعية ورغم علمه بأنه يستخدم علاقاته بشكل خاطئ للمرة الأولى والأخيرة إلا أن حبه لهذا الطفل هو من دفعه؛ لذلك منذ ذلك الوقت أصبح الطفل ابنًا لهما رسميًّا وأصبح يدعى (مالك إدريس الحديدي) يقول والده في كتابة مذكراته بأنه كان فطنًا منذ صغره ويهتم كثيرًا بالقضايا التي كان يعمل عليها والده حتى توفيت زوجة (إدريس) بعد خمسة عشر عامًا وأصبح ذلك الغلام صديقًا لأبيه فلم يستطع أبدًا إخباره بحقيقة الأمر، ولكن في الوقت نفسه كان يشعر بالذنب دائمًا ولا يعلم كيف يخبره بالحقيقة وهو في هذا العمر، وفي كل مرحلة عمرية لـ

(مالك) كان يؤجل الأمر حتى تصعبت الأمور بشكل كبير، وأصبح رجلًا بينما كان (إدريس) يشعر باقتراب وفاته وتدهور حالته الصحية، فقام بكتابة مذكراته تحت عنوان (الأرشيف الغامض) والذي وضع به أغلب الجرائم التي قيدت ضد مجهول، ومن بينهما جريمة أبويه واعتراف ليكون اعترافًا منه بما حدث، ولكنه اشترط عليه ألا يقرأه إلا بعد وفاته مثل الوصية تمامًا، وعندما بلغ (مالك) الثلاثين من عمره توفي (إدريس) بعد أن تمكن المرض منه عن عمر ثمانية وخمسين عامًا.

***

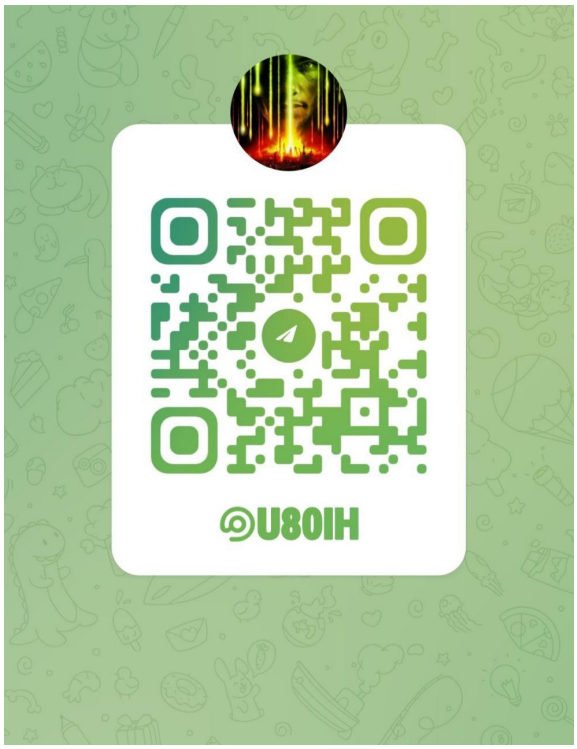

الفصل السادس

سألت قاتلًا ذات يوم بما تشعر بعد ارتكاب جريمتك، فأخبرني بأنه لو كان يشعر من البداية لكانت يده نظيفة من الدماء، ولكنهم سلبوا منه مشاعره تمامًا ليصبح هكذا.

***

(باهر الشماس) رجل يعتبر الفانوس السحري لدى رجال العصابات ولأي شخص يملك المال، فإذا كنت ثريًّا وتعرف هذا الرجل فأنت محظوظ جدًّا لأنه يفعل لك كل ما تشاء، لو أردت التخلص من شخص دون أن تظهر له فسوف يرسل من يفعل ذلك، إذا أردت سلاحًا أو رجالًا لا يهابون شيئًا، وكل ما يخطر في ذهنك يمكنه فعله طالما ستدفع له، لديه منزل في منطقة صحراوية بمنطقة الكينج مريوط على أطراف محافظة الإسكندرية لا يلتقي بشخص هناك إلا إذا كان يثق به جيدًا، وهذا ما فعله مع (آدم) الذي تعرف عليه قديمًا عن طريق صديقه (سليمان) واستقبله في منزله ليعلم منه ماذا يريد، لم يتوقع (آدم) أن هذا الرجل بتلك الضخامة المخيفة فهو يتعدى طوله المترين وبدين للغاية، كان يجلس على كرسي مصنوع خصيصًا له، بينما (آدم) يجلس أمامه مثل حبة الزيتون يكاد يكون في حجم ذراعه فقط.

- لقد حدثني عنك (سليمان) كثيرًا، وأخبرني أنك لا تخشى شيئًا أبدًا لا أصدق بأنك جالس أمامي الآن، ما الذي حدث؟

كان (باهر) يتحدث وهو يأكل قطعة كبيرة من اللحم وبقايا الطعام تسقط من فمه ليرد عليه (آدم):

- أنا لا زلت هكذا، ولا أريد منك إلا بعض الرجال لتتبع عدة أشخاص.

ظل الرجل الضخم يبتلع الطعام بصعوبة، ثم التقط زجاجة الماء وابتلع نصف محتواها ليرد:

أمر بسيط لا يستدعي المجيء بنفسك.

أومأ (آدم) قائلًا:

- نعم بسيط، ولكن هذا مطلبي الأول والثاني هو ما استدعاني للحضور؛ لأنه يحتاج إلى تخطيط جيد وأنا أحتاج أن أشرح بنفسي لرجالك المسخَّرين لي لهذه الخطة؛ لأنها إذا فشلت فسوف يضيع كل شيء.

- لا مانع عندي، ولكن أخبرني هل تعلم بالمبلغ الذي سوف أطلبه مقابل كل رجل.

-لا يهم كل ما تريده سوف يكون بين يديك، ولكن عليَّ أن أتأكد أولًا إذا تم القبض على أحد من رجالك من قبل الشرطة أو غير ذلك لا يذكر اسمي مهما حدث.

ضحك (باهر) ضحكات صاخبة ثم قام بنداء أحد رجاله حتى توقف أمامه فسأله:

- أخبره ما الذي يحدث لأي رجل عندي إذا تم الإمساك به.

نظر الرجل إلى (آدم)، ثم أجاب بصوت حاد وهو يخرج سلاحه:

- نطلب له ملك الموت ليخلصه من تلك الورطة.

***

توقف أمام باب العقار ليجد اثنين من الجنود المكلفين بحماية والدة القتيلة يقفان يتبادلان الحديث كان يستطيع أن يقتلهما، ولكنه أراد أن يمنع نفسه عن ذلك، فانتظر حتى ذهب واحد منهم لشراء بعض المأكولات، وتحرك من خلف الآخر ليضربه على رأسه بقوة مستخدمًا قطعة من الحجارة ليسقط مغشيًا عليه ليتخطاه صاعدًا الدرج بسرعة حتى وصل إلى باب منزلها، لم ينتظر سريعًا ليقوم بركله بقوة ففتح له، أخرج سلاحه بعد أن دلف إلى الداخل مغلقًا الباب خلفه، ثم توجه إلى غرفة نومها ليجدها قد استيقظت بعد أن سمعت صوت كسر الباب وقبل أن تصرخ انقض عليها وهو يضع يده على فمها قائلًا:

- سلاحي هذا ينتظر صراخك فقط، فكري جيدًا.

انتهى وهو يدفعها إلى الفراش محدقًا فيها بغضب شديد لتنظر له وهي تسأله:

- من أنت؟

اقترب منها أكثر، ثم أمسك بشعرها مجيبًا بصوت منخفض:

- أنا من قتلت ابنتك، وجئت اليوم لأسألك قبل أن أقتلك، هل تتذكرين شيئًا مثل هذا؟

انتهى وهو يخرج من جيبه زجاجة صغيرة، وبدأ يفرغ محتواها على الفراش.

***

وصل (ياسر) إلى المشفى وتحديدًا إلى الغرفة التي بها زوجة الضابط

(شريف) ليطلب من طاقم التمريض المغادرة، ثم جلس أمامها على الكرسي وسألها:

- كيف حالك الآن، هل أنتِ بخير؟

أجابته بصوت متعب قائلة:

- نعم، أخبرني هل وجدتم من قتل زوجي.

نظر (ياسر) إلى أسفل ثم عاد موليًا نظره إليها قائلًا:

- اقتربتُ جدًّا، ولكني فقط كنت أنتظر مقابلتك لأحصل منكِ على بعض المعلومات هل شاهدتِ القاتل؟

هزت رأسها بالنفي، ثم تابعت:

- كنت نائمة و(شريف) قُتل في مكتبه، وعندما استيقظت على صوت الرصاص لم أجد أحدًا بالمنزل، ولكنه كان يردد وهو يحتضر بين يدي:

- أخبريهم أن المتهم في مقتل الفتاة بريء.

حدق (ياسر) وهو يبتلع ريقه، ثم سألها:

- لم يخبرك بشيء آخر؟

- لا فارق الحياة بعدها.

انتهت، ثم أجهشت في البكاء ليحاول (ياسر) تهدئتها، ثم قال:

- احكِ لي عن يوم مقتله، لم تلاحظي عليه شيئًا؟ هل تحدَّث مع أحد الأشخاص أو ذهب إلى إحدى الأماكن.

ظلت تفكر قليلًا، ثم أجابته:

- لا، ولكنه قبل مقتله بساعة تقريبًا كان يتحدث مع شخص عبر الهاتف، ويبدو أنه كان له علاقة بنفس الجريمة.

- ما الذي كانا يتحدثان فيه تحديدًا؟

- لم أستمع إلى الحديث كاملًا، ولكن زوجي كان غاضبًا ويقول:

- -إذا تأكدت من ذهابك في هذا اليوم سوف أوجِّه لك تهمة القتل بدلًا من ابن صلاح عابدين.

بعدها أنهى المكالمة، وسألته ما الذي حدث؟ لم يخبرني بشيء.

عقد (ياسر) حاجبيه وهو يقول:

- أين هاتف (شريف) لم نجده في المنزل.

- لا أعلم.

تنهد (ياسر) ثم اخرج هاتفه وطلب وكيل النيابة ليتحدث إليه قائلًا:

- مرحبًا أنا العميد ياسر عز الدين من إدارة التفتيش الجنائي، أريد مقابلة النائب العام في أسرع وقت لأمر هام.

أنهى المكالمة، ثم نهض مستئذنًا منها، وغادر الغرفة وهو يقول بداخله:

- لا يمكن له أن يخدعنا أكثر من ذلك، يجب أن أقتل شكي الليلة.

***

استيقظ (نبيل) ليجد أمامه (آدم) واقفًا يحمل سلاحًا رشاشا صغيرًا متحدثًا:

- اتعلم أنني انتظرتك أكثر من نصف ساعة هكذا، لا أريد أن أقلق منامك.

حدَّق فيه (نبيل) برعب وهو يعتدل محاولًا أن يأخذ سلاحه الذي كان بجواره، ولكنه لم يجده فتبسم (آدم) وهو يتابع:

- قلت لك أنا هنا من نصف ساعة هل تتخيل أن أترك لك سلاحك؟

بدأ (نبيل) يفكر بمكر ثم قال:

- مرحبًا بك يا عزيزي صدقني كنت أنتظرك. اجلس لنتحدث.

نظر له (آدم) بغضب وهو يجيبه:

- كفاك غرورًا أيها العجوز ليس بيني وبينك أي حديث أو مصلحة ليس لدي عندك غير ثأر أخي يعقوب وصديقي سليمان.

ضحك (نبيل) متظاهرًا بالثقة قائلًا:

- لا صدقني أنت مدان لي بروحك ألا تتذكر بأنني من أنقذتك من الموت هل تصدق أنني تركتك لكي أصل إلى أبيك كما أخبرتك، لا يا آدم أنا تركتك لأنني أراك أغلى من الموت بكثير، وأريدك معي.
- لا زال حديثك فارغًا يا نبيل، قل لي شيء آخر غير هذا، على الرغم من أنك ميت لا محالة.

عقد الآخر حاجبيه معلقًا:

- ميت؟! كيف وأنت معظم أموالك معي والآثار أيضًا معي، اترك سلاحك ودعنا نتحدث، ولا تجعل الغضب يتمكن منك.

رفع (آدم) حاجبيه ساخرًا وهو يرد:

- الآثار معك حقًّا؟

شعر (نبيل) بأنه يعلم الحقيقة فانتظر ولم يتحدث حتى تابع (آدم):

- كنت أظن أنها سرقت في لبنان بعدما تم تخدير الحرس ليلًا، لا هذا ما تظنه أنت، ولكن الحقيقة أن رجالك هم من خططوا لتلك السرقة وأنت أشبه بقطعة القماش المتسخة، لا تعلم أي شيء، لا كنت أظن أيضًا أن الشاب الذي أرسلته إليك من قسم الجوازات قد أعطاك بيانات وهمية حتى تأتى إلى هنا، أتحب أن تستمع إلى المزيد لتعلم كم أنت مغفل، حسنًا، هل تعلم أن رجالك المكلفين بمراقبتي هم الآن يعملون لصالحي وكانوا يضللوك ولم يخبروك بما أفعله، أنت كنت داخل المصيدة يا نبيل ولا تعلم منذ ستة أشهر تقريبًا والشمندري ليس لديه غيرك، أنت لم تقتلني ظنًا منك بأنني سوف أهرول إلى أبي باكيًا وبعدها ترسل رجالك خلفي وتحصل على بقية الأموال، ولكنك بالأخير ما الذي فعلته لأجلي؟!، ولا تسأل عن رجالك بالخارج لأنهم الآن محتجزون رهائن من قِبل رجالي بعيدًا عن المنزل، أنا لا زلت أملك العقل والمال والرجال وأنت الآن بمفردك، أخبرني ما الذي يمكنك فعله؟

قام الموظف بوضع الحقيبة على المكتب، ثم أخرج منها ملف ورقي مكون من عشر صفحات معلقًا:

- فعلت ما بوسعي وجمعت لك أسماء المصرين الذين أتوا إلى هنا تلك الفترة وهم أكثر من خمسمئة شخص وبعد مراجعة البيانات التي أرسلتها لي بمواصفات هذا الشخص العمرية أصبحوا مئة شخص فقط.

ثم نظر إليه بجدية، وأردف:

- *سيدي هل تستطيع أن تصل إلى هذا الشخص علمًا بأنه من المحتمل أن يكون ليس من بين هؤلاء، مثلًا كان يعيش في لبنان منذ زمن أو أتى من دولة أخرى.*

ظلَّ (نبيل) ينظر إلى أسفل، ثم نظر إليه والحزن يكسو ملامحه قائلًا:

- **إذًا أنت من سرقتني؟**

ضحك آدم، ثم هز رأسه يمينًا ويسارًا وهو يرد:

- **ليس لديك الحق أن تسألني أنت الآن تجيب فقط، أخبرني ما الذي يمكنك فعله؟**

تحدَّث (نبيل) بيأس:

-لا أملك غير المال هل يمكنك أن تأخذ ثروتي وتتركني.

-موافق، وهذا ما جئت من أجله، وسوف أخاطبك بما قلته لي في الماضي:

- **سوف أتركك مقابل أموالك وبعدها سوف أقتلك أيضًا.**

- **كيف، وما الذي يجبرني على ذلك؟**

- سوف ترى يا نبيل ما جهزته لك حتى تتنازل لي عن جميع أموالك بالخارج.

انتهى (آدم) ليتحرك نحو النافذة مشيرًا لرجاله بالهجوم، فقاموا باقتحام المنزل حتى وصلوا إلى (نبيل) ليقوموا بربط يديه وقدميه وهو يصرخ حتى وضع (آدم) على فمه لاصقة كبيرة وغادر.

***

وصل (ياسر) إلى مركز التأهيل بوادي الناطرون وتحديدًا إلى الغرفة المنفردة التي وضعوا فيها عمر عابدين بالملابس الحمراء، قام فرد الأمن بفتح الغرفة مقدمًا التحية للعميد ثم أغلق الباب خلفه، كان المتهم جالسًا على الأرض وجسده ينتفض ظنًا منه بأن تنفيذ الحكم قد حان فأمسك بقدم (ياسر) قائلًا:

- أتوسل إليك أنا بريء أقسم لك إنني لم أقتلها.

نظر إليه (ياسر) ثم طلب منه النهوض حتى نظر في عينيه قائلًا:

- إذا لم تقتلها لماذا وجدنا دماءها على سلاحك وبصماتك أيضًا.
- صدقني أنا فقط وجدتُ رسالة منها تطلب منِّي الحضور، وعندما دلفت إلى غرفتها وجدتها قتيلة وسلاحي بجوارها لم أفكر جيدًا وقتها فالتقطه وقمت بالهرَبْ.

تنهد (ياسر) وهو يفكر قليلًا ثم تحدث:

- أخبرني يا عمر مَن الذي يستطيع أن يسرق سلاحك؟ هل تشك بأحد؟

- لا يا سيدي، ليس لدي شخص قريب إلى هذا الحد ولا أترك سلاحي بعيدًا أبدًا.
- إذًا كيف أصدقك رغم أنني أريد مساعدتك، حاول أن تتذكر أي شيء، أرجوك لا تضيع تلك الفرصة.

صمت الشاب قليلًا ثم نظر إليه وهو يرد:

- تذكرت شيئا.

حدق فيه (ياسر) ليتابع الشاب:

- قبل أن أتحدث، هل حقًّا أنت هنا لمساعدتي؟
- أنا هنا من أجل الحق فقط، تحدث يا عمر.

***

لم يشعر (آدم) بالرضا عمَّا فعله طالما لم يوافق (نبيل) على التنازل حتى الآن، ولكنه أمرَ رجاله بتعذيبه بأشد الأساليب حتى يوافق، ظلَّ جالسًا في سيارته وهو يفكر ليأخذه عقله إلى السنوات الماضية وتحديدًا عندما أطلق (نبيل) سراحَه، كان حينها يشعر بالموت وكأن كل شيء انتهى هنا، فقد جميع أمواله وأخويه وصديقه ولم يبقَ له غير أبيه الذي لازال مختبئًا من رجال الشرطة، كانت ملابسه متسخة وهو يمشي بين المارة وليس معه أي أموال تكفي حتى لشراء وجبة واحدة، استأذن من رجل كان جالسًا بإحدى الحدائق لعمل مكالمة من هاتفه، وتعاطف معه هذا الرجل مقدِّمًا له الهاتف، قام (آدم) بكتابة رقم أبيه ليطلبه، وبمجرد ما وافق على المكالمة ظل يبكي وهو يقول:

- لقد قتلوا يعقوب يا والدي وسرقوا أموالي، وأنا الآن لا أفكر إلا في الانتحار، أخبرني ماذا أفعل؟

رغم القسوة التي احتلت قلب (توفيق) إلا أنه لم يتحمل وقتها خبر وفاة ابنه الأكبر وسقطت دموعه، ولكنه لم يبدِ له ذلك، محاولًا التماسك، ثم ردَّ بصوت منخفض:

- أنصِت إليَّ جيدًا يا بني لا تبكِ طالما أبوك على قيد الحياة، أخبرني بمكانك وسوف أرسل لك من يساعدك، أنا لا زلت لديّ بعض الرجال والأموال أيضًا لا تفكر كثيرًا، سوف أرسل لك بعض الأموال لشراء هاتف محمول ولا تأتِ إلى مصر حتى أخبرك بما أريد.

قاطع أفكار (آدم) وهو يتذكر داخل السيارة الفتاة التي تبيع الزهور أسفل إشارة المرور ليجدها تعطيه مظروفًا بنيَّ اللون، التقطه منها ثم تحرَّك بسيارته إلى أن توقف مرة أخرى في مكان هادئ وفتحه ليقرأ ما به:

«مرحبًا يا آدم أنا أبوك، أعتقد بأنه قد حان الوقت لتنفيذ خطتنا، أمامنا ثماني وأربعون ساعة، وإذا حدث ما نريده سوف أرسل لك إشارة التحرك أعتقد أن (ياسر) الآن يثق بك أكثر بعد أن قرأ الرسالة التي أرسلتها لي من هاتفك لأن رجالي أخبروني بأنه حاولَ الوصول إلى هاتفي ولم يستطع تحديد مكاني، سوف يتحدث معك بشيء من الصدق في الأيام المقبلة، ولكن احذر منه ومن ابنته».

ظلَّ (توفيق) يقرأ محاولًا عدم البكاء، ثم أخذ هاتفه ووضعه في كوب الشاي الساخن لتتبدل ملامحه فجأة إلى شخص غاضب وظلَّ يردد:

- *لن أفقد كل شيء بعد كل هذا، لن أسمح لأحدٍ أن يجعلني توفيق مرة أخرى مهما كلَّفني الأمر، لا يعلم (ياسر) حتى الآن أنني اليد الوحيدة التي تحرِّك قطع الشطرنج داخل اللعبة.*

***

لقد اقترب (ياسر) من الحقيقة، وعلمَ بأن الأمر أكبر من قتل الفتاة بسبب خلافها مع (عمر) إن قتلها ما هو إلا أداة ضغط على أمها فقط، وهذا يعني أن الأم هي التي كانت مستهدَفَة من قِبَل والده (صلاح عابدين) ربما تورَّط ابنه بالخطأ أو حدث شيءٌ ما غير مفهوم جعل القاتل المأجور الذي أرسله لقتل الفتاة ينفِّذ جريمته بالسلاح الخاص بابنه، كان يسير بسيارته بسرعة متجهًا إلى منزل (صلاح عابدين) ثم هاتف (مالك) ليخبره بما حدثَ وأن المتهم أخبره أن الحارس الخاص بهم هو الذي كان يطلع على كل شيء ويعلم بمكان الفتاة، أنهى مكالمته عندما وصل أمام المنزل ليترك سيارته متجهًا إلى بوابة المنزل، طالبًا من الأمن اخبار سيدهم بحضوره، تبادلت المكالمات الهاتفية بين أفراد أمن المنزل والعاملين بالداخل حتى فتحوا له البوابة وأبلغوه أن (صلاح عابدين) ينتظره بالداخل. تقدم (ياسر) وأمامه اثنان من الحراسات التابعة للمنزل حتى وصلا به إلى غرفة المكتب الخاصة بـ (صلاح) والذي كان جالسًا واضعًا قدمًا على الأخرى ولم يحرِّك ساكنًا حتى بعد أن شاهد (ياسر) أمامه، ظلَّ يرمقه بحدة ثم أشار لرجاله بالانصراف وهو يقول:

- اذهبوا وأغلِقوا الباب خلفكم.

جلس (ياسر) أمامه مُخرِجًا علبة سجائره ثم أشعل واحدة وهو يقول بصوت هادئ:

- أتعلم يا حماد الحياة صغيرة جدًّا، أراها دائمًا مثل الغرفة، كلنا نلتقي مجددًا.

التفت (صلاح) حوله ساخرًا ثم نظر إليه وهو يرد:

- هل يوجد معنا شخص ثالث؟ أنا لا أراه.

تبسم (ياسر) مجيبًا إياه:

- لا، نحن اثنان فقط أنا وأنت يا حماد.

بدأت ملامح (صلاح) تتحول حتى امتلأ وجهه بالغضب، ثم تحدَّث قائلًا:

- وهل تظن بأن رؤساءك لا يعلمون بذلك الجميع يعلم، ولكنها انتهت بالفعل منذ ثلاثين عامًا، هل جنت إليَّ لهذا السبب؟

هز (ياسر) رأسه نافيًا سؤاله، ثم أجاب:

- جئت إليك لأخبرك بأنك لم ترتب أوراقك جيدًا، أعتقد بأن زهرة كانت تسبِّب لك الضوضاء، لذلك قتلت ابنتها ومن ثم هي.

عقد (صلاح) حاجبيه معلقًا:

- زهرة؟! ما الذي تقوله أنا لا أعلم شيئًا عن أحد بهذا الاسم، ومن تكون ابنتها أيضًا؟

ضحك (ياسر) ضحكة قصيرة، ثم قال:

- زهرة التي ساعدتك في الماضي، وضحت بكل شيء من أجلك، ظهرت بعد ثلاثين عامًا ونصبت لك الفخ وأرسلت ابنتها إلى ابنك ليقع في حبها، وعندما علمت

أن ابنك تزوجها أرسلت من يقتلها، وعندما أبلغتني أمها بما حدث قتلتها أيضًا.

ثم نهض وتحرك حتى أصبح خلفه وهو يتابع:

- ما يحيرني حقًّا كيف تبدلت الأمور وأصبح ابنك المتهم! هل هو انتقام القدر؟ سوف يجن عقلي صدقني يا عزيزي، أريد أن أفهم حقًا، على الأقل أستطيع إنقاذ ابنك البريء.

نهض (صلاح) موليًا نظره إليه وهو يتحدث غاضبًا:

- اسمعني جيدًا أنا لا أعرف شيئًا عما تقوله، أعتقد بأن هذا اجتهادًا فقط، وليس معك إذن من النيابة.
- ماذا تقصد؟

توجَّه (صلاح) نحو مكتبه ثم مدَّ يده داخل الخزينة مخرجًا مسدسًا ليشهره بوجه (ياسر) قائلًا:

- أقصد أنني يمكنني قتلك الآن، وليس لك فدية.

أومأ (ياسر) مغادرًا، بينما صاح (صلاح) قائلًا:

- أين نشأت، أحضروه الآن.

كان يقصد حارسه الخاص، ولكنهم أخبروه بأنه غادر منذ قليل ولم يعُد حتى الآن، فأخرج (صلاح) هاتفه طالبًا محاميه (سراج)، وبمجرد ما وافق على المكالمة صرخ في وجهه متحدثًا:

- الفتاة التي قتلها عمر ابنة سيدة تدعى زهرة؟ هل هذا حقًّا.

أخبره (سراج) بأنه لا يعلم، فتابع الرجل بنفس حدة الصوت:

- ساعة واحدة وأجد عندي كل المعلومات عن الفتاة وأمها.

أنهى المكالمة وهو يقذف سلاحه الناري أرضًا ويقول:

- ما الذي يحدث لك يا حماد؟

***

توقف (آدم) أمام (نورين) والتي كانت تضع الطعام في فم صغيرهما، وتوقفت عن ذلك عندما رأته طالبه من الطفل أن يذهب الآن، ثم نهضت وهي تنظر إليه بحزن، كأن كلًّا منهما يريد الاعتذار للآخر عما صدر منه، لم يتحدثا وظلا يتبادلان النظرات للحظات حتى بادر هو بالحديث قائلًا:

- أنا أعلم بأنكِ لم تغفري لي ما فعلته بأبيكِ، وتظنين بأنني قمت بغشك، ولكن الحقيقة أنكِ من فعلتِ ذلك يا نورين منذ البداية في أكثر وقت كنت أحبك فيه.

صمتت للحظات، ثم نظرت في عينيه بجمود قائلة:

- لا تتحدث عن الغش وأنت من صنعته، دع الماضي الآن سوف أخبرك بالحقيقة لأني أراك منزعجًا، أنا لا زلت أحبك، ولكني لم أعد أشعر بالأمان معك وخصوصًا أني الآن أم لطفل ليس له ذنب في أي شيء أرجوك إذا كنت تريد لنا الخير، اتركنا وشأننا.

نظر (آدم) إلى أسفل وهو يفكر ثم تحدث بصوت منخفض:

- كنت سأفعل ذلك من تلقاء نفسي ولكني لم أنتظر سماعها منكِ.

- وهل يوجد فرق؟

- نعم يا نورين كنت أظن أن حديثك معي سيكون بعطف أكثر من ذلك كنت أظن بأنكِ ستتحدثين عن حياتنا في المستقبل وتعيني زوجكِ على التوبة خصوصًا أنني لا أريد أن أعود إلى حياتي السابقة، سأرحل ولكن تذكري أن بيننا طفلًا، ويحق لي رؤيته كما أشاء، وفي أي وقت هذا عهد بيننا مهما حدث لن يتغير أبدًا، تذكري هذا جيدًا.

انتهى مغادرًا وهو يذهب إلى غرفته ليعيد أغراضه إلى حقيبته في نفس الوقت الذي أرسل له (الشمندري) رسالة بالكود الجديد الذي إذا ردَّ عليه (آدم) فهذا يعني أنه متاح لاستقبال رسالة جديدة، فوافق عليها ليجد الرسالة الآخرة وبدأ يقرأ:

«آدم الخطة تغيرت ولا نستطيع الحصول على الآثار في الوقت الحالي، أتتني معلومات أن (نبيل) استطاع أن يبلغ رجاله بالخارج باختطافه وقد أتوا مسلحين وإذا لم يعثروا على مكانه ليحرروه سوف يصلون إليك وتفشل خطتنا، حاول البقاء في منزل (ياسر) حتى أستطيع جمعهم داخل المصيدة».

انتهى (آدم) وهو يزفر بضيق لا يعلم ماذا يفعل بعد أن أخبرهما برحيله، قام بحذف الرسالة، ثم جلس على فراشه يفكر.

***

طلبت النيابة العامة إحضار المتهم (عمر عابدين) لاستجوابه مرة أخرى قبل حكم الإعدام بعد أن وافقت على رغبة (ياسر عز الدين) له والذي قدَّم لهم التقارير الآتية؛ أولًا اختفاء حارس العقار بعد

شهادته الأخيرة في مكان غير معلوم حتى الآن، وربما قُتل رغم أن شهادته كانت في صالح المتهم، وثانيًا مقتل أمها والتي كانت آخر أقوالها بأنها تتلقى تهديدات من القاتل الحقيقي رغم أنه من المفترض أن يكون في ذلك الوقت محتجز، ذهاب الحارس الخاص بوالده لمعاينة العقار الذي تسكن به القتيلة وهذا ما أقر به المتهم عندما شاهده أكثر من مرة، وبعد تفريغ كاميرات المراقبة المحيطة بالمكان وجد أن شخصًا متخفيًا دخل إلى العقار في نفس يوم الجريمة، وفي توقيت قريب جدًّا من الوقت الذي تم تحديده من قِبَل فريق البحث الجنائي ساعة إطلاق الرصاصة هذا الشخص نفسه الذي رصدته كاميرات المراقبة أيضًا وهو يفر هاربًا بعد مقتل الضابط (شريف).

انتهى (ياسر) وهو يخرج من مكتب النائب العام بوجه يملأه الحزن، بعد أن استطاع أن يجمع تلك المعلومات، أن القاتل الحقيقي كان دائمًا معه ويحصل على التحريات وتحركات رجال الشرطة مسبقًا قبل أن يتحركوا، وأن سبب مقتل (شريف) لم يكن إلا لأنه علم بظهور شخص غريب بعد أن اطلع على كاميرات المراقبة بنفسه، ركب (ياسر) سيارته متذكرًا ما لم يتخيل بأنه يحدث بتخطيط.

انتهى (مالك) من مشاهدته لما تخيل حتى تقدَّم بخطوات بطيئة إلى جانب الفراش، ونظر أرضًا وهو يقول:

- تلك السيجارة المحترقة لم تحرز أيها الضابط رغم أنها دليل إدانته أيضًا، لأن من المؤكد أن عليها بصماته، وإذا دققت النظر أيضًا إلى الصورة التي أخذت من قبل فريق البحث سوف تجد حرفًا صغيرًا في كتف الفتاة أومأ (ياسر) ليشير إلى رجال الشرطة بأخذ الأدلة الجديدة، ثم نظر إلى (مالك) متحدثًا:
- شكرًا لك يا مالك أريد تقريرك الليلة هل تستطيع؟
- نعم، خلال ساعات سوف يصلك عبر البريد الإلكتروني.

كان (مالك) هو الوحيد الذي يعلم بكل شيء عن تلك الجريمة، حتى الحرق الذي كان في كتف القتيلة ومكان السيجارة رغم أن المتهم اعترف بأنه فعل ذلك بها، ولكن قبل أيام من يوم الحادث، تبسم (ياسر) بحزن قبل أن ينطلق بسيارته وهو يتذكر حديثًا آخر لمالك بشأن تلك الجريمة.

أتاه اتصال من (مالك) وافق على المكالمة ليجده يسأل عن مكانه الآن، فهو يريد مقابلته فأبلغه ياسر بأنهم عثروا على السلاح المستخدم في جريمة قتل الفتاة، وأنه ذاهب إلى مكتبه، أحس (مالك) بأنه طلبه في وقت غير مناسب فظل يعتذر ثم أنهى المكالمة سريعًا.

إنه كان يتتبعهما ليعلم ما يدور داخل رأسه، انطلق (ياسر) بسيارته، ثم طلب ضابط المباحث ليجهز قوة من الأمن لإلقاء القبض على المتهم الحقيقي.

***

توجه (مالك) إلى منزل (عيسى) ودلف إليه بعد أن أذِنَ له بالدخول، كان وجهه شاحبًا ويبدو عليه الإرهاق الشديد، كان مرتديًا ملابسه السوداء واقترب من العجوز وهو يجلس جواره ثم قال بحزن:

- هل يمكنني التحدث معك قليلًا، قبل أي شيء أنا أضع في دولابك حقيبة أريدك أن تعتبرها أمانة عندك حتى أستردها أو أموت، إذا جاءك خبر وفاتي قم بتسليمها للشرطة وهم سيعلمون بكل شيء.

ظل (عيسى) ينظر إليه بدهشة، ثم سأله:

- ماذا بك يا مالك لا تقلقني عليك وتحدث من فضلك.

أومأ (مالك) ليبدأ حديثه والدموع تتساقط من عينيه:

- أنت تعلم جيدًا بالجريمة التي حدثت ودوَّنها أبي لي في الأرشيف الخاص به.

- أي جريمة يا بني؟

- جريمة حماد الحارس الذي قام بحرق منزل المهندس ليموت هو وزوجته وتركا من خلفهما طفلًا رضيعًا، أنا كنت هذا الطفل الذي رباه (إدريس الحديدي) لم أعلم ذلك إلا منذ وقتٍ قريب لأنني حافظت على العهد الذي كان مكتوبًا ولم أطلع على الجزء السري من الكتاب واعترافات والدي، أقصد المفتش إدريس الحديدي، لم أفكر وقتها إلا في الانتقام من حماد وزهرة التي عاونته وسمحت له بالدخول.

حدَّق (عيسى) مندهشًا فهو لا يصدق ما يسمعه حتى تابع (مالك):

- سامحني، لأنني في السابق كنت أشك بك يا عم عيسى.

عقد (عيسى) حاجبيه وهو يرد:

- ما الذي تقوله؟

- كنت لا أثق بأحد، وعندما جئت أنت والفتاة وبعدها كنت أشاهدك وحيدًا دائمًا ظننت أنك مخبر لدى الشرطة، وأخبرتك بأنني لم أطلع على ما كتبه أبي كاملًا، لأنني حينها كنت قد قتلت ابنة (زهرة) بسلاح عمر وبهذا كان قد بدأ انتقامي من ابن صلاح الذي هو في الحقيقة حماد وابنة زهرة كنت أظن أن الشرطة أرسلتك قبل تلك الجريمة لأنني كنت أتتبع (صلاح) و (زهرة) طوال الوقت؛ لذلك كنت حريصًا معك في أغلب الوقت أدعي بأنني لا أعلم شيئًا عما يقوله الأرشيف.

قاطعه صوت هاتف (عيسى) والذي نظر في هاتفه محدقًا ثم نظر إلى (مالك) وهو يصيح به:

- اهرب يا مالك، لقد علمت الشرطة بكل شيء وهم في الطريق الآن إليك.

نهض (مالك) بفزع ثم أخرج سلاحًا ناريًّا وهو يصرخ في وجهه:

- من أنت؟ أخبرني هل تعمل معهم؟

بادله (عيسى) بنفس حدة الصوت والذي لم يسمعه منه (مالك) من قبل:

- ليس هناك وقت للحديث أهرب الآن، وسوف نلتقي مجددًا، إنهم أسفل العقار الآن.

ظل (مالك) ينظر إليه بغضب، ثم وضع السلاح بجانبه وفر هاربًا.

***

استمع (صلاح) إلى رنين هاتفه، ليجد المتصل محاميه (سراج) فوافق على المكالمة قائلاً:

- أخبرني ما الذي فعلته؟

- نعم يا سيدي والدة الفتاة كانت تدعى (زهرة).

ابتلع ريقه وهو يرد:

- زهرة التي أقصدها؟

- نعم يا سيدي، ولكن لدي أخبار سارة.

صمت (صلاح) قليلًا ثم ردَّ بيأس:

- لا أتوقع ذلك، أخبرني.

- ابنك ليس القاتل الحقيقي والمحكمة أخبرتني بأنها أوقفت حكم الإعدام، وبمجرد القبض على المتهم وأخذ أقواله سيتم الإفراج عن عمر يا سيدي.

ظلَّ (صلاح) عاقدًا حاجبيه، وفكه يتساقط إلى أسفل ثم ردَّ بصوت عالٍ:

- هل أنت جاد يا سراج؟ تأكدت بنفسك من ذلك؟

- نعم يا صلاح بك، هذا ما حدث وأنا الآن في طريقي للمحامي العام، أتعلم من الذي استطاع الوصول للقاتل الحقيقي وقدَّم الالتماس الأخير للمحكمة.

- مَن؟

- العميد ياسر عز الدين الذي كنت تبغضه طوال الوقت.

صمت (صلاح) قليلًا ثم تحدث بصوت خائف:

- سراج، ماذا تقول؟! أنا أرسلت نشأت ليقتل ابنته.

صاح المحامي قائلًا:

- لماذا ما الذي حدث؟

أنهى (صلاح) المكالمة دون أن يرد، وبدأ يطلب حارسه الخاص ليوقف تلك المهمة، ولكنه وجده أمامه عندما استدار، وقبل أن يتحدث وجده يقول:

- لا تقلق يا سيدي لم أقتلها بالطبع.

تبسم (صلاح) لأول مرة له ليقترب منه مرددًا:

- الحمد لله يا نشأت؛ عمر لم يقتل الفتاة والشرطة علمت بالقاتل الحقيقي.

أومأ الحارس وهو يردُّ بجمود:

- أعلم يا سيدي.

تبدلت ملامح (صلاح) ليسأله مستفهمًا:

- منذ متى وأنت تعلم؟

تحرك الحارس نحو باب المكتب ليغلقه جيدًا، ووضع المفتاح في جيبه ثم ردَّ:

- منذ يوم مقتلها، وأنا أعلم أن ابنك ليس القاتل.

ظلَّ (صلاح) ينظر إلى حارسه ويتابع يده التي وضعت المفتاح في جيبه بعد أن أغلق الباب، ثم سأله:

- ما الذي تفعله؟

تبسم الحارس، ثم اقترب نحوه وهو يرد قائلًا:

- لا عليك، هل تعلم من الذي قتل الفتاة؟!

هز (صلاح) رأسه بالنفي ليرد الحارس:

- أنا من قتلتها، وأنا من جعلت ابنك يقترب منها ويتزوجها دون أن يشعر، أما هي فأخبرتها بأنه ابن رجل غني ويمكننا الاستفادة منه ولم تمانع، وبهذا استطعت أن أقتلها بسلاح ابنك وأحرق قلب أمها زهرة هل تتذكرها؟

اقترب منه (صلاح) وهو يسأله بغضب:

- ما الذي تقوله أيها الغبي؟ لماذا فعلت ذلك بالرجل الذي قدَّم لك الخير.

ضحك الحارس وهو يقول:

- قدمت لي الخير منذ ولادتي عندما قتلت أمي وأبي حرقًا، هل تتذكرهما؟!

حدق فيه الآخر وهو يسأل بصوت منخفض:

- من أنت يا فتى؟

- أنا مالك الحديدي ابن المهندس علاء عبد الستار الذي كان يسكن في الطابق الثالث للعقار الذي كنت تحرسه، لم أنسَه ابدًا؛ لأنني كنت أذهب إليه كل ليلة.

اقترب من الباب وهو يدفعه ليفتح له فلم يرَ غير الظلام، ولكنه لا يحتاج إلى ضوء ليكمل طريقه فقدماه تعلمان إلى أين هما ذاهبتان، أخذ يصعد الدرج وهو يبكي بصوتٍ عالٍ، كان يعلم جيدًا أن لا أحد هنا يستمع إليه لأن هذا العقار مهجور منذ سنوات طويلة، تابع صعوده حتى توقف في الطابق الثالث وظلَّ يطرق الباب برفق.

كنت أبكي وأبلغهم بأنني لن أترك القاتل مهما حدث، ولن أجعله ينعم للحظة واحدة، ذهبت لشركتك

لأقدم على وظيفة أمن وتم قبولي، ثم خططت بعد ذلك وأرسلت لك من يسرق أموالك حتى أقوم بحمايتها أمامك لتثق بي، وبالوقت أصبحت أنا الحارس الخاص بك ومدير الحرس، وأنت رجل ذكي واستنتجت الآن أنني اليوم قدمت لهم مكافأة جماعية بأخذ إجازة عن العمل بحجة أنك ستسافر ليلًا.

انتهى وهو يخرج زجاجة من حقيبته، وظلَّ يسكبها في الغرفة ليصرخ به (صلاح) متسائلًا:

- ما هذه الرائحة؟

ردَّ عليه (مالك) بهدوء:

- مادة إيثيل إيثر لا تتحرك لأنها شديدة الاشتعال، أرجوك.

قالها وهو يخرج سلاحه الناري وتابع:

- لا تقلق لن تموت بهذا السلاح، وإنما رصاصة واحدة ستصدر شررًا يلتهم الغرفة ومن بداخلها.
- نشأت أرجوك لا تفعل ذلك سوف أعوضك عن كل شيء، ولكن لا داعي أن نموت سويًّا.

نظر إليه (مالك) ثم أجابه متبسمًا:

- مَن قال لك ذلك؟! أنا لن أموت معك.

***

توقفت القوات أسفل العقار، ثم خرج أفراد الأمن منها مقتحمين العقار وآخرون يقومون بتأمينه من الخارج، أصر (ياسر) على أن يضع الأساور في يد (مالك) بنفسه لأنه أكثر شخص كان يثق به ويبلغه بكل شيء، خرج من المصعد بعد أن توقف به في

الطابق الذي يريده فخرج منه متوقفًا أمام باب المنزل، وبدأ يطرقه بقوة لكن لا أحد يجيبه، فطلب من رجاله كسر الباب ففعلوا ذلك بواسطة الأسطوانة الحديدية ليتقدمهم هو إلى الداخل قائلًا:

- يبدو أنه ليس هنا، ولكن ابحثوا عن أي شيء يخصه وأحضروه لي.

انتهى وهو يدلف إلى إحدى الغرف حتى وجد مكتبًا صغيرًا يحتوي ظهره على بعض الكتب فظلَّ يفتش بينهم حتى وجد كتابًا أسود اللون مدوَّن على غلافه بخط اليد العريض (الأرشيف الغامض) التقطه، وقبل أن يواصل عمله وجد ورقة معلَّقة أمامه على النافذة اقترب منها ثم أمسك بها وبدأ يقرأ:

«كنت أعلم بأنك أول من سيصل إلى هنا ليس لشيء، ولكن لأنك دائمًا تحب أن تتصدر المشهد يا ياسر ودائمًا تفشل، أتعلم لما تحولت من مفتش لا يوجد مثله إلى رجل عجوز لم يفلح أبدًا في شيء، لأنك كنت تعمل دائمًا من أجل النجاحات وليس من أجل نصرة الحق، أود أن أخبرك بأنني لم أكتب اسمك بجوار أسماء الذين قتلوا أبي وأمي، ولكني لم أنسَ بعد أنك تهاونت في حقهم، ولم تحرك ساكنًا لتنظر في أمرهم؛ لذلك عقابك كان أقل من القتل بكثير، ولكني عاقبتك بالفعل دون أن تشعر، كنت ضللك طوال الوقت وفي أغلب القضايا، وأخفي عنك الحقائق، ولكنك لم تشعر بخيبة الأمل أبدًا، كان عليَّ أن أجعلك تشعر بالحسرة وقد حان الوقت سوف نتحدث قريبًا إذا كنت تظن بأنني هارب فهذا

خطأ، تنقصني فقط خطوتان، الأولى أن أقضي على (صلاح عابدين)، وأعتقد بأنك بمجرد أن تنتهي من القراءة سوف يكون في تعداد الموتى والأخرى أن أفسِّر لك كل ما حدث منذ أن عملت معك وحتى يومنا هذا، لا تبحث عني كثيرًا أنا من سأجدك».

انتهى (ياسر) من قراءة الأوراق ليجد أحد الضباط يأتيه باثنين من الهواتف المحمولة الأول منهم كان للفتاة التي قتلت، والآخر هاتف (شريف) ضابط المباحث، ظلَّ ينظر إليهم ثم تحدَّث بصوت يملأه الحزن:

- ضعهم في حقيبة الأدلة، وسوف أفحصهم في مكتبي، استدع القوات لتغادر.

***

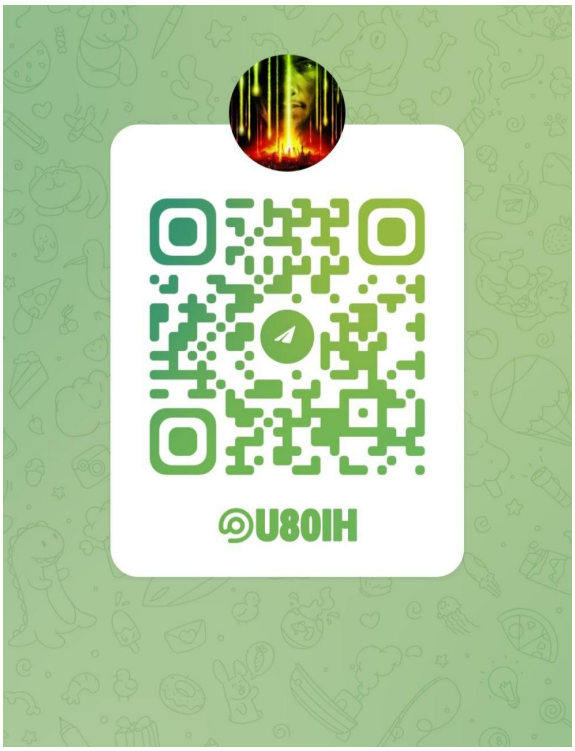

الفصل الأخير

الحياة تمنحنا فرصة واحدة لنعيش، إذا تركناها أو عبرت دون أن نشعر فنحن في تعداد الموتى.

**

قبل أن تنتهي المعركة عليك أن تتأكد بأن أعداءك جميعًا قد قتلوا، وليس منهم أحد استطاع الهرب حتى لا يعود ويفسد عليك لذة النصر.

بعد أن علم (باهر) بالرجل الذي ساعد (نبيل) وأعطاه هاتفًا ليستدعي رجاله، قام بالتخلص منه وعزز (آدم) بفريق آخر من رجاله كاعتذار عما حدث.

كان (نبيل) يجلس بأحد المنازل مكبل الأيادي والأقدام يترقب حوله منتظرًا طريقة التعذيب القادمة، لقد مارسوا معه كل أنواع التعذيب، ولكنه لم يستسلم بعد ظنًا منه أن رجاله سيأتون ويخلصونه، ولكنه كان لا يعلم بأن (آدم) غير خطته وجاء الآن لينهي كل شيء.

اقترب منه وفي يده سكين ليحدق فيه (نبيل) قائلًا:

- ما الذي تفعله؟

أمسكه (آدم) من رأسه وهو يرد:

- ثأر يعقوب وسليمان.

انتهى وهو يطعنه في قلبه بقوة، ثم أخرج السكين وقام بنحره ليسقط جسده مرتجفًا والدماء تنفجر من رقبته، كانت نهايته متوقعة بالنسبة له لأنه ترك

من خلفة مئات الجثث من أجل المال، ظلَّ (آدم) ينظر إليه حتى تأكد بأنه فارق الحياة ثم خرج إلى رجاله الذين كانوا ينتظرونه بالخارج، وتحدث إليهم قائلًا:

- كما اتفقنا، لا أحد يمسسهم بسوء، أريد ابني فقط وكونوا حريصين على عدم إخافته بأي شكل من الأشكال.

أومأ قائدهم ليركبوا السيارة، وانطلقوا ليمسك (آدم) بهاتفه طالبًا والده ثم تحدَّث إليه:

- أبي، لقد انتهى أمرٌ (نبيل)، ماذا سنفعل الآن؟

- هل تأكدت بأنه مات؟

- نعم يا أبي قتلته بنفسي.

- حسنًا، وأنا وصلتني معلومات بمكان رجاله الذين أتوا ليحرروه يمكننا المغادرة طالما وضعناهم تحت المراقبة، هيَّا ابدأ الآن السفينة تنتظرنا الليلة.

أنهى (الشمندري) مكالمته، ثم أمسك بالحقيبة ووضعها أمامه على الفراش وقام بفتحها ليخرج القطع الأثرية الثلاث وظلَّ يتأملهم، متذكرًا كيف استطاع إعادتهم.

(قبل عام تقريبًا)

كان (الشمندري) داخل محافظة الإسكندرية مختبئًا في أحد المنازل الخاصة به ومعه ثلاثة من رجاله لم يكن يتخيل أن الحياة ستفعل به كل ذلك، خصوصًا أنه فقدَ اثنين من أبنائه والثالث لا زال في دولة لبنان يراقب (نبيل) ورجاله عن بُعد، لعله يعلم أين يخبئ الآثار، وقد حلَّ اليأس على الجميع طوال العامين

الماضيين حتى علم (آدم) بشيء لم يكن في مخيلته أن يحدث ولم يجد تفسيرًا لهذا، لقد أخبره أحد البحارة الذين يعملون بالتهريب وكانوا يعاونونه قديمًا هو وأباه، أن أحد الرجال المصريين معه قطع أثريه يريد تهريبها إلى مصر، وأنها بنفس مواصفات القطع الثلاث المهرَّبة من قبل والمملوكة لهما، عندها هاتف أباه وأخبره ما يحدث فتواصل (الشمندري) مع البحار ليفعل ما طلبه منه الرجل ويراقبه جيدًا حتى يصل إلى ميناء الإسكندرية، وعندها سيبدأ رجاله بتتبعه ومعرفة كل شيء عن هذا الرجل، وبالفعل نجحوا في تتبعه إلى أن وصل، ثم أمر (الشمندري) رجاله بمراقبته عن بُعد حتى يعلم إلى أين هو ذاهب بهم.

قاطع أفكاره رنين هاتفه ليجد المتصل أحد رجاله بالخارج، وأبلغه بأنه جهز له كل شيء والشاري ينتظر قدومهم فقط.

***

جلس (ياسر) في مكتبه يتفحص الهواتف المحمولة، ليجد رسالة من الفتاة قبل مقتلها كانت تطلب من (عمر عابدين) الحضور ومن الواضح أن تلك الرسالة كانت من قبل (مالك) حتى يثبت التهمة على هذا الشاب، أما هاتف الضابط كانت مكالماته مسجلة فاستمع إلى آخر مكالمة والتي كانت بينه وبين (مالك) كان بخيره بأنه حصل على تفريغ الكاميرات المحيطة بالعقار الذي حدثت فيه الجريمة، والتي رصدت تحركات شخص متخفٍّ وغدًا سيذهب بهم

إلى مختص ليحدد هويته أكثر عن طريق الذكاء الاصطناعي، كان (مالك) يسأله إذا أخبر أحدًا أم لا ولكنه علم منه بأنه سيذهب غدًا إلى عمله ويخبر رؤساءه، من هنا علم (ياسر) لما قتله (مالك) وضع الهواتف أمامه ثم أغمض عينيه من شدة الصدمة ليستمع إلى باب مكتبه يُفتح ففتح عينيه ليجد أمامه (مالك)، نهض (ياسر) وهو ينظر إليه بغضب، ثم سأله:

- كيف استطعت الدخول إلى هنا، أغلق (مالك) الباب خلفه، ثم اقترب منه وهو يرد:
- لم يتم حتى الآن إعلان القبض عليَّ بشكل رسمي، أعتقد بأنك لا زلت تراجع الأدلة.

***

نشبت النيران في منزل (صلاح عابدين) وقد التهمت الطابق السفلي بأكمله حتى تمكنت زوجته من الهرب وإبلاغ رجال الإطفاء الذين استطاعوا السيطرة عليها وإخمادها، ولكنهم لم يستطيعوا إنقاذ (صلاح عابدين) والذي وجدوه جثة متفحمة، كانت نهايته من نفس جنس عمله، لم يترك وراءه خيرًا ينصره الآن.

***

انقض (ياسر) على (مالك) وهو يصرخ في وجهه قائلًا:

- أقسم لك لن أتركك حتى أراك معلَّقًا في حبل المشنقة.

دفعه (مالك) بعيدًا وهو يرد بغضب:

- إذا كان العقاب واجبًا بتلك الطريقة فلا بُدَّ أن تكون أنت قبلي.

- أنا؟! وهل أنا قاتل مثلك؟

هزَّ (مالك) رأسه ثم ردَّ:

- لا، ولكنك تركت القاتل دون أن تفعل أي شيء، قتل أبي وأمي، وأنت كنت تعلم ومع ذلك لم تفعل شيئًا، إذا كنت تشعر بالحزن بسبب حماد الضابط الذي قتلته فعليك أن تلوم نفسك، إذا كنت تحري الدقة لكان

حماد تم القبض عليه، ونال عقابه دون أن أقتل أحدًا.

- والفتاة يا مالك ما ذنبها؟

ظلَّ يضحك ضحكات صاخبة، ثم نظر له بحدة قائلًا:

- ذنبها أنها ولدت من أم كزهرة التي قتلت رجلًا وامرأة ليس لهم ذنب في أي شيء غير أنهم وثقوا بها.

ظلَّ (ياسر) ينظر إليه ثم تحدَّث:

- أنت رجل مريض لا يمكن لبشر أن يصدق هذا، ماذا فعلت أيضًا وأنا لا أعرفه.

ردَّ عليه (مالك) سريعًا:

- لا شيء لقد جئت إليك معترفًا بكل جرائمي.

أومأ (ياسر) وهو يرد:

- حسنًا، يمكننا الآن أن نقول بأنك قاتل مع سبق الإصرار وقد اعترفت.

انتهى وهو متوجه إلى هاتفه ليبلغ رجاله بالحضور لإلقاء القبض على (مالك)، ولكنه استمع إليه يقول بهدوء:

- انتظر قليلًا، فأنا لن أهرب، ولا يمكنك أن تقيد حريتي بعد أن أنهي ما بدأته وهذا في مصلحتك.

وضع (ياسر) سماعة الهاتف في مكانها وهو يسأله:

- لا أفهم ما الذي تريد قوله؟

اقترب (مالك) منه، ثم همس في أذنه:

- إذا تم القبض عليَّ الآن لن تحصل على القطع الأثرية؛ لأنني الوحيد الذي أعلم بمكانها.

حدق فيه (ياسر) قائلًا:

- نعم، هكذا يكون الختام، أنت السارق الذي ذهب إلى لبنان منذ ستة أشهر، وقام بسرقتها هكذا.

أومأ (مالك) متبسمًا.

بعد أن استحوذ على عقل (أمجد) استطاع أن يعلم بمكان الغرفة التي تحتوي على القطع الأثرية، ما كان عليه إلا أن يضع خطته ليحصل عليها، حتى وضع له المخدر في مشروب الشاي واطمأن أنه فقد الوعي وذهب إلى الداخل حتى توقَّف أمام الغرفة مخرجًا من جيبه آلة حادة صغيرة مصممة خصيصًا بديلًا للمفاتيح فهي تشبه المفتاح الواحد ولها بروز معدنية كثيرة، استطاع من خلالها أن يفتح الباب دالفًا إلى الغرفة، ثم اغلق الباب خلفه ليجد أمامه حقيبة تحتوي على كلمة سر لفتحها، لم يضيع وقتًا وقام بحملها، بما أنها الحقيبة الوحيدة داخل غرفة حفظ الأشياء الثمينة، خرج من المنزل المهجور

مترقبًا، ثم ركض في طرق مختلفة حتى لا يراه أحد وغادر المنطقة بأكملها .

تراجع (ياسر) برأسه، وظلَّ يضحك ضحكات هستيرية وهو يصفق له ثم تابع:

- أنت لم تترك شيئًا لم تفعله يا مالك، كيف علمت بمكانها؟

- كنت أعمل مع صلاح عابدين؛ لأنه كان يريد شراءها من (نبيل) والذي تحدَّث معي هاتفيًا أكثر من مرة؛ لأنني كنت سأسافر في البداية بمفردي لمعاينة القطع، وفي إحدى المكالمات أخطأ نبيل وذكرَ اسم المنطقة التي سيذهب إليها ليحضر بضائعه، فعلمت بأنها المنطقة الوحيدة التي بها عصابات تحفظ البضائع الثمينة للهاربين حتى يقوموا ببيعها، فسافرت دون أن يعلم أحد واستطعت الوصول إلى المنزل الذي يتعامل معه (نبيل) ونفذت خطتي.

لم يستطع (ياسر) الحديث، كان ينظر إليه ويشعر بأنه في كابوس يريد أن يستيقظ منه الآن حتى أغمض عينيه ثم نظر أمامه متحدثًا:

- لماذا فعلت ذلك وعدت بها إلى مصر لماذا لم تقم ببيعها في الخارج؟؟

- لأنني لست بسارقٍ، وأردت أن اعيدها بنفسي انتقامًا منك.

- لهذه الدرجة أنت تكرهني؟

- لا أكثر من ذلك بكثير.

- وهل كنت تعلم أن صلاح أرسل رجاله لخطف ابنتي، بما أنك كنت تعمل معه؟

- نعم، ولكني أرسلت معهم من يفسد المهمة.

- كيف أفسدها ولماذا ضحى بنفسه؟

- قام بضرب الباب بحذائه ليوقظ (آدم)، ولم يضحي بنفسه لأنه كان يعلم كيف سيهرب في النهاية.

عبر الأول من النافذة ليجد بأن تلك الغرفة بها (ياسر) والذي كان نائمًا، فتحرك نحوه بخطوات بطيئة ثم وضع قطعة القماش على وجهه وظلَّ يضغط ليستيقظ الضابط محاولًا دفعه بعيدًا، ولكنه فشل نتيجة تسرب رائحة المخدر إلى جهازه التنفسي مما أدى إلى فقدان الوعي، ثم توجَّه سريعًا إلى الغرفة الثانية والتي كان بها (آدم) فارتطم حذاؤه بالباب ليصدر صوتًا عاليًا فتخفَّى حتى تأكد أنه لم يفسد الخطة فترجل سريعًا بعيدًا عن تلك الغرفة، ثم تحدَّث عبر سماعة الأذن قائلًا:

- سيدي، لقد أفقدن الضابط وعيه وهو الآن مغشيٌّ عليه، هل يوجد أحدٌ آخر في المنزل غير الفتاة وابنها؟

تنهَّد (ياسر) اخيرًا وهو يقول:

- أخبرني أين القِطع الأثرية؟

ردَّ عليه (مالك) بصوت حاد:

- مقابل حريتي.

عقد (ياسر) حاجبيه حتى أردف مالك:

- هل تصدق بأنني جئت إليك لأضع رقبتي داخل المشنقة؟ بالطبع لا، أنا جئت لأساومك، تقبض

عليَّ ويتم شنقي وتبقى الآثار مفقودة للأبد، أم أنك تمنحني شهادة شكر لأنني ساعدتك في القبض على المتهم وتتركني حرًّا.

تبسم (ياسر) ساخرًا وهو يرد:

- ما الذي تقوله؟ وهل تظن بأنني أترك دماءَ كل هؤلاء مقابل تلك القضية الملعونة، أنت لا تعرفني.

نظر له (مالك) في عينيه ثم تحدَّث بصوت منخفض:

- لا، أعرفك جيدًا، وأعرف أنك شخص ذكي، تبقى لك عام واحد في الخدمة وستحال على المعاش، تخيّل معي ياسر عز الدين وهو يسترجع القِطع الأثرية الثلاث أخيرًا، ينهي قضية تحدَّث عنها الملايين، لا أأعتقد بأنك ستضيع تلك الفرصة.

توقفت السيارة أمام منزل (ياسر) ثم خرج منها رجلان أحدهما أمسك بالحارس من الخلف وسحبه داخل السيارة لتنطلق به، ثم دخل الآخر إلى حديقة المنزل وتوقفت سيارة أخرى ليخرج منها ثلاث رجال مسلحون وملثمون ليجدوا الطفل جالسًا جوار أمه والتي بمجرد ما شاهدتهم ظلت تصرخ وهي تحضن الطفل، ولكنهم أمسكوا بها وأبعدوها ثم قاموا بتكبيلها بالحبال ووضعوا لاصقة على فمها ليحمل أحدهم الطفل، وذهبوا إلى السيارة.

***

لم يتظاهر (ياسر) بأنه يفكر في تلك المساومة بداخله فهو لا زال يكابر ويتحدث بحدة حتى وجد اتصالًا من ابنته تخبره بما حدث وهي تصرخ وتبكي

بعد أن استطاعت أن تحرر نفسها، شعر أبوها بالصدمة، فهو لا يعلم من الذي يمكنه أن يفعل ذلك حتى أخبرها بأنه قادم وأنهى المكالمة صارخًا في وجه (مالك) قائلًا:

- أنت الذي فعلت ذلك؟

- لا أفهم ما الذي حدث؟

انقض عليه (ياسر) وهو يمسك بقميصه متحدثًا:

- من الذي قام بخطف حفيدي؟

حدق إليه (مالك) مجيبًا إياه:

- لا أعلم، ولماذا أفعل ذلك من الأساس؟

تركه (ياسر) وهو يتنهد غاضبًا، ثم أشار له بسبابته قائلًا:

- اسمعني جيدًا، سوف تذهب معي الآن إلى المنزل حتى أطمئن على ابنتي إذا فكرت في الهرب سأقتلك.

- تحفظ عليَّ هنا إذا أردت فأنا لا أريد ذلك.

كان يتحدث (مالك) بهدوء حتى أجابه (ياسر):

- إذا تحفظت عليك سوف يعلمون بأنك متهم، وأنا أريدك حرًا حتى تدلني على الآثار.

تبسم له (مالك) متحدثًا:

- جيد، أراك تختار الحل الأفضل.

نظر له الآخر غاضبًا وهو يرد:

- سوف نرى في النهاية.

***

على متن السفينة الضخمة كان (الشمندري) جالسًا بإحدى الغرف السرية ومعه (آدم) والذي كان ينظر في ساعته بتوتر شديد محدثًا نفسه بصوتٍ عالٍ:

- لماذا تأخروا هكذا؟ عليَّ الخروج الآن فأنا لن أستطيع.

صاح فيه أبوه قائلًا:

- وماذا لو شاهدك أحد؟ انتظر هنا وهم سيأتون بابنك، انتظر.

أنهى كلمته ليجد رجلًا يحمل طفله والذي كان يبكي بصوت عالٍ ليلتقطه (آدم) متحدثًا إليه بحزن:

- لا تخف يا بني، لماذا تبكي؟

نظر له الطفل وهو يقول:

- هؤلاء الأشرار كانوا يضربون أمي، وأنا أريد أن أعود إليها، هل أنت معهم؟

نظر (آدم) إلى الرجل بغضب والذي تحدث سريعًا:

- لم لنضربها، فقط قمنا بتكبيلها بطريقة يسهل تحريرها.

نظر (آدم) إلى الطفل متبسمًا وهو يقول:

- لا أنا لست معهم، الا تعرفني أنا من كنت أنقذك من الأشرار.

- نعم، ولكني أريد العودة إلى أمي، أرجوك خذني إليها.

نظر (آدم) بحزن ليتحدث (الشمندري) موجهًا حديثه إلى الطفل:

- ستبقى معنا، وإذا كانت أمك تحبك ستأتي إلينا.

ثم نظر إلى (آدم) وتابع:

- رغم أنني أشك في ذلك....

ظلَّ الطفل يبكي بشدة مرددًا:

- أريد العودة إلى أمي.

بينما (آدم) يحاول أن يطمئنه بكل الطرق لكنه لم يستجِب.

***

وصل (ياسر) إلى منزله وهو يركض إلى الداخل حتى وجد ابنته تجلس أرضًا بالحديقة وهي تبكي، وبمجرد ما شاهدته صرخت فيه قائلة:

- لقد سرقوا ابني يا أبي افعل أي شيء.

جلس أبوها بجوارها وهو يحتضنها بينما (مالك) ينظر إلى أسفل عندما تذكر طفولته حتى تحدث (ياسر):

- اهدئي يا ابنتي أرجوكِ سوف نفرغ الكاميرات بالمنزل، ونصل إليهم أعدك بأن لا يستطيع أحد أن يمس يحيى بسوء.

ظلت الفتاة تبكي ولم تتحدث حتى نهض (ياسر) وأمسك بها لتنهض، ثم تحدث:

- نورين، من يمكنه أن يفعل ذلك؟

- لا أعلم، أنا ليس لي دخل بعملك الذي لا يجلب لنا إلا المصائب، أنت من يمكنه الإجابة على هذا السؤال.

كانت تتحدث وهي تبكي حتى نظر (ياسر) إلى أسفل بحزن، ثم نظر إلى (مالك) متسائلاً:

- كم من الوقت نستغرقه لننهي ما اتفقنا عليه؟

- نصف ساعة فقط.

أومأ (ياسر) ثم أردف إلى ابنته:

- انتظريني هنا حتى أعود، وأنا سأطلب الشرطة لتأمين المنزل وتفريغ الكاميرات.

أومأت ابنته ليشير إلى (مالك) بالذهاب فتحركا حتى وصلا إلى السيارة ليركباها وانطلقا.

***

بدأ (الشمندري) بمهاتفة رجاله بالخارج ليبلغهم بأن السفينة ستبحر خلال ساعة واحدة ليقوموا بتأمين وصوله وأبلغ رجاله بمصر بمحو أي أثر وراءه كأنه لم يكن له وجود من البداية، أما (آدم) لا زال يحاول الحديث مع ابنه، ولكنه لم يهدأ حتى أخبره بأنه سيعيده إلى أمه ففرح الطفل، وبدأ يضحك لأول مرة، كان (آدم) ينظر إلى ابتسامته بحزن شديد وبداخله صراع يكاد أن يقتله، كيف سيعيش هذا الطفل البريء بينهم وهل حياته أفضل بين عائلة الشمندري أم عائلة ياسر عز الدين.

ظلَّ (آدم) يحتضنه بقوة والدموع تتساقط من عينيه ليراه أبوه دون أن يشعر فنظر أمامه بغضب وهو يصيح قائلًا:

- متى ستبحر السفينة؟ لقد تأخرنا.

التفت إليه أحد العاملين على السفينة والمكلفين بتأمينهم ليرد:

- خلال لحظات يا سيدي.

لم يترك (آدم) ابنه، وظلَّ يعانقه بقوة وهو يهمس إليه:

- سامحني يا بني أرجوك.

***

خرج (ياسر) من المصعد، وتوقف أمام منزل (مالك) والذي وضع عليه الشمع الأحمر قائلًا له:

- هل الآثار داخل منزلك، بالطبع لا، نحن قمنا بتفتيشه هل أنت تمزح معي؟

هز (مالك) رأسه يمينًا ويسارًا وهو يخرج مفتاحًا من جيبه قائلًا:

- القِطع عند جاري القعيد، رجل عجوز يدعى (عيسى).

«هل يمكنني التحدث معك قليلًا؟ قبل أي شيء أنا أضع في دولابك حقيبة أريدك أن تعتبرها أمانة عندك حتى أستردها أو أموت، إذا جاءك خبر وفاتي قم بتسليمها للشرطة وهم سيعلمون بكل شيء».

ظلَّ (عيسى) ينظر إليه بدهشة، ثم سأله:

- *«ماذا بك يا مالك؟ لا تقلقني عليك، وتحدث من فضلك....»*

نظر إليه (ياسر) قائلًا باستنكار:

- هل تأمن له على أشياء مثل تلك؟

التفت إليه (مالك) قائلًا:

- نعم، لأنه قعيد، وليس لديه أحد، كما أنه لا يعلم بما أخبئه عنده.

انتهى وهو يقوم بفتح الباب ليدخل، ولكنه حدق برعب شديد، ما هذا! إن المنزل أصبح فارغًا كأنه مهجور منذ زمن بعيد، تقدم (ياسر) إلى الداخل وهو يقول:

- أين عيسى هذا؟ أنا أشاهد منزلًا لا يسكنه أحد.

ظلَّ (مالك) يطوف بالمنزل وقدماه ترتعشان حتى دلف إلى غرفة (عيسى) فوجدها فارغة تمامًا، وليس

بها غير الكرسي المتحرك الذي اهداه له، أخرج (ياسر) سلاحه وهو يقول:

- ليس عندك ما تساومني عليه، أعتقد بأنها خدعة جديدة، تقدَّم أمامي.

كان (مالك) ينظر أمامه ولم يلتفت إليه فهو يقول بداخله هل من الممكن لمرضه أن يفعل به ذلك، كان المنزل فارغًا منذ زمن ولا وجود لعيسى من الأساس؟

ثم نظر إلى (ياسر) وهو يقول:

- وأنا مع من كنت أتحدث طوال تلك الفترة؟!

قبل أن يتحدث (ياسر) استمع إلى رنين هاتفه ليجد المتصل رقمًا غيرَ معروف، وافق على المكالمة قائلًا:

- مَن المتصل؟

- مرحبًا يا ياسر، أعتقد بأنك لم تنسَ صوتي بعد.

ابتلع (ياسر) ريقه ثم سأله:

- لا أتذكر من أنت.

- لا أتذكر من أنت.

- لا أنت تتذكر صوتي جيدًا، ولكنك تحاول أن تنفي ذلك، شديدة الصدمة عليك، لا تظلم هذا الفتى فإنه حقًا كان يضع الآثار في هذا المنزل أمانة عند عيسى، ولكنه كان لا يعلم بأن عيسى هو نفسه الشمندري الذي أتى ليسترد بضاعته.

(قبل عام تقريبًا)

كان (الشمندري) داخل محافظة الإسكندرية مختبئًا في أحد المنازل الخاصة به ومعه ثلاثة من رجاله، لم

يكن يتخيل أن الحياة ستفعل به كل ذلك، خصوصًا أنه فقدَ اثنين من أبنائه والثالث لازال في دولة لبنان يراقب (نبيل) ورجاله عن بعد لعله يعلم أين يخبئ الآثار، وقد حلَّ اليأس على الجميع طوال العامين الماضيين حتى علمَ (آدم) بشيءٍ لم يكن في مخيلته أن يحدث ولم يجد تفسيرًا لهذا، لقد أخبره أحد البحارة الذين يعملون بالتهريب وكانوا يعاونونه قديمًا هو وأباه، أن أحد الرجال المصريين معه قِطعٌ أثرية يريد تهريبها إلى مصر، وأنها بنفس مواصفات القطع الثلاث المهرَّبة من قبل والمملوكة لهما، عندها هاتف أباه وأخبره بما يحدث فتواصل (الشمندري) مع البحار ليفعل ما طلبه منه الرجل ويراقبه جيدًا حتى يصل إلى ميناء الإسكندرية، وعندها سيبدأ رجاله بتتبعه ومعرفة كل شيء عن هذا الرجل، وبالفعل نجحوا في تتبُّعه، إلى أن وصل، ثم أمر

(الشمندري) رجالَه مراقبته عن بُعدٍ حتى يعلم إلى أين هو ذاهب بهم.

نظر (ياسر) إلى الهاتف فهو لم يصدِّق ما يستمع إليه حتى تابع (الشمندري):

- **كنا نتتبعه منذ أن عاد إلى مصر وبدأنا خطتنا حتى أكون جارًا له بشخصية (عيسى) الرجل العجوز الذي لا يسأل عنه أحدٌ، صحيح أنه لم يأمن لي بسهولة، ولكني استطعت أن أدخل منزله وأتأكد بنفسي بأنه لازال محتفظًا بالقطع الإثرية داخل غرفته.**

بدأ يدخل به غرفة تلو الأخرى حتى طلب منه (عيسى) التوقُّف قليلًا؛ لأنه شعر بالتعب المفاجئ ثم استأذنه أن يعود به إلى منزله حتى يأخذ الدواء فتركه (مالك) وركض إلى الخارج ليجلب له الدواء بنفسه.

عندها أخرج هاتفه وظلَّ يقوم بتصوير أركان الغرفة كاملة ليرسلها إلى (آدم):

- كنا نخطط لسرقتها من داخل منزله، ولكنه اختصر علينا الطريق وقام بالاحتفاظ بها عندي، أرجوك يا ياسر تمالك أعصابك جيدًا وصحيح لا داعي أن أخبرك بأنني غادرت الآن، ولن تجد لي طريقًا، انتظر من فضلك، استمع إلى ضربات قلبك ولكني أريد أن أخبرك بشيء أخير؛ لا تبحث عن حفيدك، أقصد حفيدي لأننا من قمنا باختطافه، ولن يعود إليكم مرة أخرى، وداعًا.

أنهى المكالمة لينظر (ياسر) إلى هاتفه بدهشة ثم استند إلى الحائط وهو يشهر سلاحه في وجه (مالك) قائلًا:

- إذا تحركت من مكانك سوف أقوم بقتلك أيها الغبي السفيه، لقد أبلغت الشرطة ونحن في الطريق وسيصلون بعد قليل.

***

أبحرت السفينة و(الشمندري) يحتضن الحقيبة التي تحتوي على القِطع الأثرية وهو ينظر أمامه بحزن شديد، ربما لأنه أحَبَّ (مالك) ويعلم أن (ياسر) لن يتركه ولكنه من قبل عرضَ عليه العمل معه بطريقة غير مباشرة ووجد أنه لن يوافق بكل الطرق.

قاطع (مالك) رنين هاتفه ليغلق الكتاب غاضبًا، ثم نظر إلى المرآة ليعود إلى طبيعته، ثم وافق على المكالمة ليجد المتصل يقول:

- مرحبًا يا مالك.

عقد حاجبيه وهو يرد:

- مَن المتصل؟

- لا يهم، نحن نتتبعك منذ فترة، ونريدك أن تعمل معنا.

- هل أنت معتوه! كيف تطلب منِّي ذلك وأنا لا أعرفك من الأساس ولا أعرف طبيعة عملك.

ضحك المتصل ثم تحدَّث:

- لا يهم، ولكننا نعرفك جيدًا، ونعلم بكل أفعالك التي لا يعلمها غيرك.

بخبرة (الشمندري) كان يعلم بأنه لن يوافق على الانضمام لأي أشخاص يعملون بطرق غير مشروعة، وإن أفعاله تلك ما كانت إلا انتقامًا لأبويه، لآخر وقت كان يريد أن يخبره بأنه هنا لسرقة الآثار فقط، ولكن (مالك) لم يشعر.

وجد (عيسى) على الكرسي أمامه متحدثًا بفكاهة:

- نسيت أن أشكرك على هذا الكرسي لأنه يمكنه عبور جميع العوائق دون أي مجهود، وهذا يعني أنني يمكنني في أي وقت الدخول لمنزلك وسرقته.

ربما هي المرة الأولى للشمندري الذي يشعر فيها بأنه أخطأ في حق شخص، وربما سيحاول أن يفعل أي شيء ليرد له ما فعله هذا الشاب معه طوال الأشهر الماضية.

***

وصل (ياسر) إلى منزله ليجد رجال الشرطة بالداخل فعبر من بينهم دون أن يتحدث مع أحد ليبحث عن ابنته بالداخل فوجدها جالسة على الكرسي ولا زالت تبكي، فجلس بجوارها متحدثًا بحزن:

- لا أريد أن أحزنك أكثر، ولكن ربما ما أقوله سيجعل قلبك يطمئن قليلًا، ابنك الآن مع والده وهو من قام باختطافه.

التفتت إليه (نورين) وهي تحدق قائلة:

- أبي! ماذا تقول؟ هل آدم يفعل بي ذلك؟

أومأ (ياسر) ثم تحدَّث:

- نعم يا ابنتي وفعل أكثر من ذلك هو وأبوه، قلت لك من البداية إنه لا يحبك.

قاطعه (آدم) وهو يدلف إلى المنزل حاملًا طفله:

- لا، أنا لا زلت أحبها، أنت مخطئ.

انتهى ثم جثا على ركبتيه ليترك الطفل يركض إلى أمه والتي نهضت متفجرةً في البكاء وهي تعانقه ليقول لها:

- أمي، لقد أعادني آدم وخلصني من الأشرار.

نهض (ياسر) وهو يقترب نحوه قائلًا:

- من أين جئت؟ وأين أبوك؟

ظلَّ (آدم) يحتضنه بقوة والدموع تتساقط من عينيه ليراه أبوه دون أن يشعر، فنظر أمامه بغضب وهو يصيح قائلًا:

- متى ستبحر السفينة؟ لقد تأخرنا.

التفت إليه أحد العاملين على السفينة، والمكلفين بتأمينهم ليرد:

- خلال لحظات يا سيدي.

لم يترك (آدم) ابنه وظلَّ يعانقه بقوة وهو يهمس إليه:

- سامحني يا بني أرجوك.

انتهى ليستمع إلى صوت السفينة التي ستبدأ في الإبحار الآن لينهض بالطفل قائلًا لأبيه:

- لن أرحل معك، سوف أعود أنا ويحيى.

نظر له (الشمندري) بغضب ليرد بصوتٍ عالٍ:

- ماذا تقول؟ سوف تعود بعد كل ما حدث، لقد هاتفت ياسر وأخبرته بكل شيء، سوف يقوم بالقبض عليك.

- لا يهم، ولكني لن أترك ابني يعيش مثلما عشت.

انتهى وهو ينظر إلى الرجل الذي يعمل على السفينة قائلًا:

- أخبر القبطان أن ينتظر.

صرخ (الشمندري) في الرجل وهو يقول:

- لا تفعل ذلك، ولا تدعه يرحل.

أخرج (آدم) سلاحه وهو يقول بصوتٍ عالٍ:

- من يعترض طريقي سوف أقتله، ولا داعي لذلك، ارحلوا أنتم بسلام.

تحدَّث إليه (الشمندري) قائلًا:

- لو رحلت لا تفكر في العودة، وليس لك عندي شيء سوف تعود بلا أموال.

نظر إليه (آدم) متحدثًا:

- لم أعد أريد شيئًا، دعهم يتركوني أرحل فقط.

أشار (الشمندري) للرجل أن يتركه.

***

أخرج (ياسر) سلاحه في وجه (آدم) قائلًا:

- أن تعود بحفيدي وترده إلى ابنتي فهذا لن يجعلك تسلَم منّي أنت مقبوض عليك يا آدم.

لم يرد عليه وظل ينظر إلى طفله وهو يتبسم حتى دلفت الشرطة داخل المنزل فأمرهم (ياسر) باعتقاله وهو كان مستسلمًا لهم وهم يضعون في يده الأساور الحديدية محتفظًا بابتسامته لطفله الصغير، أما (نورين) كانت تشاهد ما يحدث بحزن شديد ولا تستطيع أن تقول شيئًا حتى قيدوه وخرجوا به إلى سيارتهم.

***

يجلس (مالك) في حبس مؤقت بينما (عمر عابدين) قد تم إخلاء سبيله، ولكنه لم يكترث طالما تخلص من والده، لم يعد يريد شيئًا إلا الإجابة على سؤاله هذا «هل عيسى كان شخصًا حقيقيًّا أم هو ناتج عن مرضه النفسي؟»

قاطع أفكاره الباب وهو يفتح ليجدهم يدفعون ب (آدم) إلى الداخل ثم أغلقوا الباب، نهض (مالك) وهو يتأمله قائلًا:

- أنت؟! مَن الذي فعل بك هذا؟

حاول (آدم) أن يتطلع إلى ملامحه في الظلام، ولكنه فشل فسأله:

- مَن أنت؟

- أنا مالك الحديدي.

تبسم (آدم) بحزن ولم يتحدث حتى تابع (مالك) قائلًا:

- قلت لك سنلتقي، ولكني لم أتوقع أننا سنلتقي هنا، مَن الذي فعل بك ذلك؟

أجابه (آدم) وهو يتحرك في الغرفة قائلًا:

- نفس الذي فعل بك ذلك.

انتهى وهو ينظر إلى النافذة، ولأول مرة يشعر بأنه فعل الصواب رغم القبض عليه.

***

بعد خمسة عشر يومًا

حكمت المحكمة وبإجماع الآراء على المتهم (مالك إدريس الحديدي) بالإعدام شنقًا بعد أن اعترف بجرائم القتل التي ارتكبها جميعًا.

المتهم الثاني

حكمت المحكمة على المتهم آدم توفيق السيد، بالسجن سبع سنوات بتهمة التعاون مع تشكيل عصابي والتحريض على اختطاف طفل.

رُفعَت الجلسة

***

كان الشمندري ينظر أمامه وهو داخل العبارة متذكرًا كل شيء حدث منذ أن عمل فرد أمن بالمتحف إلى لحظة هروبه الآن، ربما شعر بالنهاية في هذا الوقت رغم أنه لا يعلم بأن الشرطة رصدت مكانه وتنتظر وصوله إلى الميناء الذي تقصده تلك السفينة.

«الكل هنا داخل المصيدة، لا أحدَ حُرٌّ غيره».

(تمت...)